دروس في
أسرار الصلاة على محمد وآل محمد

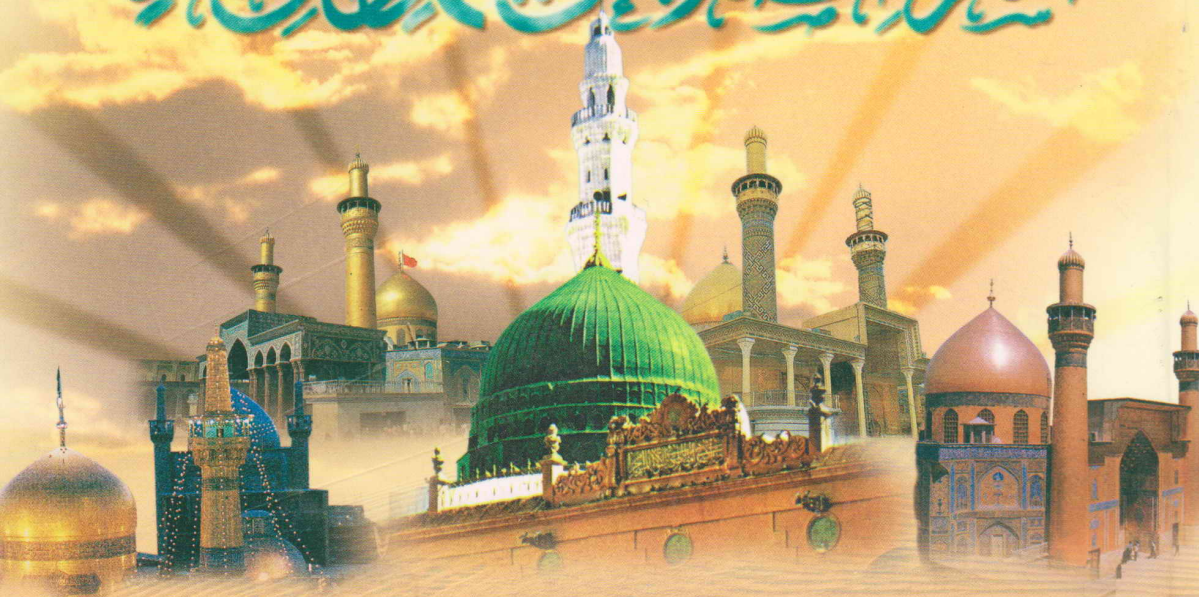

للشيخ عبد الكريم العقيلي

إعداد
الحاجة الفاضلة أم علي

منشورات

مؤسسة بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

هويّة الكتاب

الكتـاب : دروس في أسرار الصلاّة علىٰ محمّدٍ وآل محمّد

إعـــداد : الحاجّة الفاضلة أُمّ عليّ

النـاشـــر : مؤسّسة بضعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

العـــدد : ١٠٠٠ نسخة

الســـنة : الطبعة الاولىٰ ١٤٢١هـ. ق. ـ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله حمداً نَسعدُ بهِ في السّعداءِ، ونصير بـه فـي زُمـرةِ الشّهداءِ، والصّلاة والسّلام علىٰ النّبيّ مـحمّدٍ وآله، صـلاةً تشـحنُ الهواء وتملأ الأرضَ والسّماء، واللعنةُ الدائمة المؤتلفةُ غير المختلفةِ على أعدائهم الأشقياء لعناً بلا عدٍّ ولا إحصاء.

وبعد:

لقد أوجب الله تعالى الصّلاة علىٰ النبيّ وآله صلوات الله عليهم فـي قـوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1].

ولا يخفىٰ ذلك على أحدٍ ممّن نطق بالشهادتين، إذ فُرِض عليهم جميعاً أن يؤدّوا الصّلاة علىٰ النبيّ وآله في صلواتهم الواجبة والمستحبّة، وفـي أذكـارهم وأدعيتهم، بل وفي سائر أعمالهم وحاجاتهم.

ولقد بيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الهداة الميامين سلام الله عليهم صورة الصّلاة علىٰ محمّد وآل محمّد الواجبة على المسلمين، فقد روي في الخبر

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

المتواتر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل: كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قولوا اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[1].

وروى حريز عن الصادق عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك، كيف الصّلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال عليه السلام: «قل: اللّهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللّهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الذين ألهمتهم علمك، واستحفظتهم كتابك، واسترعيتهم عبادك، اللّهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الذين أمرت بطاعتهم وأوجبت حبّهم ومودتهم، اللّهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته الذين جعلتهم ولاة أمرك بعد نبيّك صلّىٰ الله عليه وعلى أهل بيته»[2].

ولقد أكّد الشافعي في قصيدته المشهورة فرض الولاء والمحبّة لأهل البيت عليهم السلام ووجوب الصلاة عليهم حيث، قال:

يا أهلَ بيتِ رسولِ الله حُبّكمُ ... فَرْضٌ مِنَ الله في القرآنِ أنزلهُ

يكفيكُمُ من عظيم الفخر أنّكمُ ... مَنْ لم يصلّ عليكم لا صلاة لهُ[3]

ولا ريب أنّ الصلاة على النبيّ والآل صلوات الله عليهم هي من ألصق الواجبات في حياة الإنسان المسلم، وذلك لأنّها مفتاح الأسرار وباب المقاصد، ومن أهمّ الوسائل في صعود الأعمال واستجابة الدعاء، هذا فضلاً عن الثواب الجزيل والفضل العظيم الذي يحرزه المصلّي على النبيّ وآله عليهم السلام.

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٢١٧/٢٩١، سنن الترمذي: ٥/٣٥٩/٣٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/٦٧/٥٥.

(٣) ديوان الشافعي: ١١٥.

قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجل والمدح له والصّلاة علىٰ النبيّ، ثم يسأل الله حوائجه»[١].

وذلك لأنّ الصّلاة علىٰ النبيّ وآله تؤكّد الولاء لرسول الله ﷺ ولأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم الذي هو امتدادٌ للولاء لله سبحانه.

وقال ﷺ: «صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم»[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «كلّ دعاء يُدعى الله به محجوب عن السماء حتّى يصلّى على محمّد وآل محمّد»[٣].

ومن هنا يتبيّن أنّ هذا الذكر العظيم لا ينفك عن حياة المسلمين، فهو من الممارسات اليومية والأفعال الدائمية، **وعليه فلا بدّ للمرء أن يعلم معاني هذه الكلمات التي يكرّرها، ويستحضر تلك المعاني حينما يصلّي على النبيّ وآله في وعيه وعقله وعاطفته، ليتمكّن من الوصول إلى النتائج المرجوّة في الصعود إلى مدارج الكمال ومراتب الفضيلة والجلال.**

ولقد تكفّلت هذه الدروس التي يضمّها هذا الكتاب ببيان تلك المقاصد والمعاني باسلوب واضح وضمن سياق روحي وتربوي لا غنىٰ للإنسان المسلم عنه.

وهذه الدروس هي عبارة عن عدّة محاضرات ألقاها سماحة الشيخ عبدالكريم العُقيليّ في حسينية الشيخ الأوحد قدس سره الكائنة في المنصورية بالكويت للفترة الواقعة بين ١٠ صفر إلى ٣٠ صفر ١٤٢٠ هـ.

---

(١) الكافي: ٢/٣٥١/١.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/٥٤/٢٢.

(٣) الكافي: ٢/٣٥٧/١٠.

وبالنظر لأهميّة هذه الدروس فقد ارتأت مؤسستنا طباعتها لتكون في متناول الأخوة المؤمنين، نأمل أن تنال رضاهم والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفي الختام لا يفوتنا أن نشير إلى الجهود المباركة التي قامت بها الحاجّة المهذّبة أمّ عليّ وأسرتها في تدوين الأبحاث وإعدادها، راجين لها ولجميع العاملين والمهتمّين بأمور الدين تمام التوفيق والتسديد، والحمد لله أولاً وآخراً.

مؤسسة بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

في ١٥ شعبان المعظّم ١٤٢٠ هـ

مولد النّور المشرق، والضياء المتألّق، مدار الدهر، وإمام العصر المولىٰ الحجّة بن الحسن العسكريّ صلوات الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

هنا بحث هامّ فيما يتعلق بالصلاة وسرّ الصلاة، ومجموعة الأبحاث متركزة على بيان هذا السرّ.

فما المراد بالصلاة التي تارةً تكون عن الله، وأُخرى تكون عن الملائكة، وثالثة تكون عن المؤمنين؟

هناك روايات كثيرة ومستفيضة وردت بهذه المضامين تؤكّد وتحثّ بما لا يمكن أن تسعه طامحات العقول في بيان هذا السرّ المجهول الذي أكّدت عليه الروايات المتضافرة وبيّنت الأخبار أمره هنا وهناك، فمن أجل أن نتعرف على حقيقة سرّ الصلاة، ومن أجل أن نصل إلى عمق المراد، فلا بد من كشف النّقاب عن هذه الحقيقة بما يسع من بيانات، وإن لم يتعرض كما أخال وأعتقد من ذي قبل إلى هذا السرّ الملكوتي بشكله الوسيع الذي لا بدّ أن يكشف حتّى يتعرف النّاس على هذه الحقيقة.

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

فطالما نباشر الصلوات في صباحنا ومسائنا وفي أدعيتنا وزياراتنا، حتّى أنه أتفق جميع المسلمين على وجوب الصّلاة في التّشهد في الصّلوات المفترضات، وكذلك أوجبوها في مقامات أُخرى، كلّ ذلك إنما يشير إلى أمر هامّ نباشره في سائر الليالي والأيام، فما من دعاء أو زيارة إلّا ويسبق بذكر النبيّ وآله بالصلاة المخصوصة.

فما المراد هنا من الصلاة عليّ النبيّ؟

وما المراد من الصلاة على آل النبيّ؟

هل المراد بها الدعاء؟

وهل المراد بها التزكية؟

أو المراد بها الرحمة؟

كل ذلك معانٍ مطروحة في الأخبار، ولكننا إذا تأملنا لا يمكن حمل هذه المعاني الظاهرة على المراد إطلاقاً.

إنّ هناك أبحاثاً هامّة في أنّ للصلاة كيفيةً عرضها المفسرون، وقد أفردت رسائل في هذا المضمار، وهناك رسالة صدرت في مكّة حول الصلاة، وقد أفرد هذا الباحث فيما يتعلق بالصلوات بحثاً مستقلاً في كتب المسانيد والصحاح والتي يتعرّض لها في صحيح مسلم[١] وصحيح البخاري[٢] وابن ماجة[٣] وغيرهم ممّن صرح بكيفية الصلاة في هذه الآية، فقد رووا أنّه لمّا أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يصلوا على النبيّ قالوا: عرفنا التسليم عليك، أما الصلاة، **كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟**

---

(١) صحيح مسلم: ٤/١٢٥/ بشرح النووي.

(٢) صحيح البخاري: ٦/١٢٠.

(٣) سنن ابن ماجة: ١/٢٩٢ ـ ٢٩٣/٩٠٣ ـ ٩٠٦.

يقول الرازي وجملة من المفسرين: لمّا عرضوا هذا التساؤل على النبيّ ﷺ فأجابهم أن يقولوا: «اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[1].

إذاً كلّ الروايات متّفقة على هذه الكيفية، وإن كان هناك تخلّف في مجال التطبيق حتّى أنّك تجد العنوان في صحيح البخاري في الصلاة على النبيّ ﷺ بدون الصلاة على الآل، ثمّ ينقل روايات وجوب الصلاة على النبيّ وآله وهكذا في بقية المسانيد؟!

وفي ذلك من الردّ على الله تعالى والعناد لرسوله ﷺ ما لا يخفى على ذي لبّ.

معنى الصلاة على النبيّ وآله وأسرارها

هنا بحث في معنى الصلاة وفي سرّ هذه الجوهرة الربانية.

ما معنى أن نصليّ على النبيّ وآله؟

الروايات تؤكد بأنّ الصلاة من الله عبارة عن الرحمة.

وأنّ الصلاة من الملائكة هي التزكية.

وأنّ الصلاة من المؤمنين هي الدعاء.

أولاً: الصلاة من قبل الله تعالى على النبيّ ﷺ:

إذا كانت الصلاة من قبل الله على النبيّ وآله بمعنى الرحمة، فما معنى ذلك؟ يعني يا ربّ ترحّم على النبيّ وآله، هذا المعنى هل يمكن قبوله وفق

---

(١) تفسير الرازي: ٢٥/١٩٦.

القواعد القرآنية والقواعد الروائية وما يتعلق بمقامات النبيّ العالية؟

الجواب: لا يمكن قبوله؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو معدن الرحمة وأصلها ومبدؤها وشروعها ومنتهاها، كما نصّ القرآن الكريم في هذه الآية المحكمة الواضحة ﴿**وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ**﴾[1].

يعني كل العوالم سواء كانت عوالم إنس، أوعوالم جنّ، أو من في السماوات، أو من في الأرض، أو ما فوق ذلك أو ما دونه، كلّ هذه العوالم إنما هي فرع وجودك، وهي تأخذ الرحمة منك لأنّك الرحمة المطلقة، أنت منشأ الرحمة للعالم، والعالم هو الذي يفتقر إلى رحمتك، لا أنّك تفتقر إلى رحمة العالمين.

ولكن الرحمة يقصد بها معنىً آخر كما يقول الإمام الكاظم عليه السلام «صلاة الله رحمة من الله»[2]، لا هذا المعنى الذي ينسبق إليه الذهن، وإنّما إشارة إلى أهمّ الأسرار التي طرحها بعض الأكابر والأبرار، ولم يكن يعرف هذا المعنى من قبل.

يقول: الرحمة من الله بهذا المعنى أنّ الصلاة الإلهية على الحضرة النّبوية إشارة إلى طلب إبراز الوجود الكليّ المطلق ورتبه ومراتبه وحقيقته وتنزّلاته من عوالم الفوق إلى عوالم الدون.

يعني يا ربّ أبرز لنا تلك الحقائق التي تحلّى بها محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في العوالم كلّها.

إذاً هنا معنى الرحمة يراد بها إبراز الله وكشف الله عن تلك المراتب التي وصل إليها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما عبّر القرآن عنه: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدنَىٰ * فَأَوحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوحَىٰ * مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَىٰ * وَلَقَد رَءَاهُ نَزلَةً أُخرَىٰ * عِندَ سِدرَةِ المُنتَهَىٰ ***

---

(١) الأنبياء: ١٠٧/٢١.

(٢) ثواب الأعمال: ١٨٧، عنه بحار الأنوار: ٣٨/٥٨/٩٤.

عِندَهَا جَنَّةُ المَأوَىٰ * إِذ يَغشَى السِّدرَةَ مَا يَغشَىٰ * مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَد رَأَىٰ مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى﴾[١].

ويؤيّد ذلك أيضاً ما ورد عن سيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام في الصحيفة السجادية: «اللّهمّ وٱبسط لسانه في الشّفاعة لأُمّته، وأرِ أهل الموقف من النبيّين وأتباعهم تمكّن منزلته، وأوهل[٢] أبصار أهل المعروف العُلى بشعاع نور درجته، وَقِفه في المقام المحمود الذي وعدته... اللّهمّ أحضره ذكرنا عند طلبته إليك في أُمّته، واخطرنا بباله لندخل في عدّة من ترحمه بشفاعته، وأرِه من أشرف صلواتنا وسبحات نورها المتلألئة بين يديه، ما تُعرّفه به أسماءنا عند كل درجة ترقى به إليها ويكون وسيلةً لديه، وخاصةً به، وقربةً منه، ويشكرنا على حسب ما مننت به علينا من الصلاة عليه»[٣].

إذاً المراد من الرحمة المنصبة في معنى الصلاة على النبيّ هو كشف المراتب والمنازل والمقامات، فكأنّ المصلّي يطلب من الله هذا المعنى؛ يعني يا رب اكشف لنا وبيّن لنا تلكم المراتب التي تجاوزها وعبرها النبيّ وآله حتّى بلغ مقام قاب قوسين أو أدنى، وهذه هي حقيقة الصلاة التي طالب بها الحقّ وقال: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾**.

إذاً المراد من الصلاة في هذه الآية التي تخص الحق هو كشف المراتب وبيان الحقائق التي تجوهر بها ذات النبيّ باعتباره أول صادر وأول نورٍ وأول عقلٍ وأول موجودٍ، كما في الروايات الكثيرة المتواترة التي تصب لنا هذا المعنى.

---

(١) النجم: ٥٣/٨ ـ ١٨.

(٢) أُوهل: أفزع وحيّر.

(٣) الصحيفة السجادية الجامعة: ٣٧.

ثانياً: صلاة الملائكة على النبيّ:

يراد بها في الروايات التزكية[١].

فإذا أخذنا المعنى الظاهري تنقلب كلّ الحقائق، فهل الملائكة تزكّي النبيّ وآله؟ هذا المعنى لا يمكن قبوله بهذه العجالة بهذا المعنى الظاهريّ القشريّ، وإنّما يراد بالتزكية هو التنزيه.

فعندما نقول زكّى فلانٌ نفسه، أي خلّصها من الشوائب وهذّبها من الزوائد.

هنا التزكية بمعنى: التنزيه والتقديس للمراتب الحقّة لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً التزكية بالنسبة لصلاة الملائكة عبارة عن تنزيه هذه الحقائق التي تجوهرت بالنبيّ وآل النبيّ عن أن يمسّها أحدٌ من الخلائق.

يعني كأنّ الملائكة تقول تنزّهتم يا آل رسول الله ووصلتم إلى مقامات ندعو الله تعالى أن يكشف لنا تلك الحقائق لتكون السجدة لآدم، سجدةً لسيد خلق الله النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا يشار إلى هذه الحقيقة في تزكية الملائكة، أي يا أهل بيت النبوة أنكم فوق الحدّ وفوق ما نتصور، تنزّهتم عن مجانسة مخلوق من المخلوقات فيما فيهم من الصفات، وأنّكم وصلتم إلى درجة أعلى حدّ من المخلوقين لا يرقى إليكم راق، ولا يفوقكم فائق، ولا يسبقكم سابق، ولا يطمع في إدراككم طامع، ولا يبلغ مبلغكم بالغ، فأنتم فوق كل هذه المقامات المدوّنة «**آتَاكُم الله مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِن العَالَمِينَ**»[٢].

فقد آتاهم الله تعالى مراتب فوق تلك المراتب التي هي مسجّلة للخلق أجمعين؛ لأنّه بإجماع المسلمين وبإجماع العقلاء أن النبيّ أفضل الخلق بمن فيهم

---

(١) راجع ثواب الأعمال: ١٨٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٧٤، فرائد السمطين: ٢/ ١٨٤.

أولي العزم على الإطلاق، فليس أحدٌ ممن عرف الشهادتين وتوجه إلى القبلة، وأدى ما عليه من الفرائض إلّا ويشهد بأفضلية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلق والورى، وهذا إجماع لا يشك فيه أحدٌ، فإذا تمّ هذا المقام وهو تامّ بالنسبة إلى النبيّ صلوات الله تعالى عليه وآله، فهو بتمامه منطبق بالنسبة إلى الوليّ (عليّ بن أبي طالب عليه السلام)، لأنّه نفسه بنص القرآن الكريم ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾[1].

إذا ثبت المراد بالتزكية فيما يخصّ الملائكة عبارة عن تنزيه هذه الحقائق عن أن تمسّ وعن أن يبلغ أحد مبلغها، أو يتصف بصفاتها، أو يتجوهر بجواهرها، أو يتلون بصبغتها، فهي حينئذٍ الحقيقة المطلقة المقصودة من صلاة الله تعالى وصلاة ملائكته.

ثالثاً: الصلاة المخصوصة بالمؤمنين:

عندما تقول: اللّهمّ صلِ على محمّد وعلى آل محمّد، فما المقصود بهذا الذكر؟

هل تريد رفع مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

إنّ هذا أدنى تصور وأدنى مرتبة من الفهم، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي ينقصه حتّى تزيده صلواتي وصلواتك مرتبة عليا، أليس هو صاحب الشفاعة الكبرى؟

أليس هو صاحب المرتبة العظمى؟

أليس هو الذي وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى؟

فهل أوصلته صلواتنا إلى تلك المرتبة العليا؟

الإجابة: طبعاً لا.

إذاً ما المقصود عندما أُصلّي في صباحي ومسائي في ليلي ونهاري؟

---

(١) آل عمران: ٣/٦١.

المراد من هذا إننا نطلب من الحقّ تبارك وتعالىٰ أن يخلي نفوسنا من كلّ ما يتعلق بها من شوائب وزوائد وملوثات حتّى نلتحق بالحقيقة المحمّدية ونلتصق بالسرّ المحمّدي و نندك فيه ونصبح متلونين بصبغة محمّد وآل محمّد.

وقد أشار الكبار من الأولياء والعرفاء إلى أنّ حقيقة صلواتنا هي عبارة عن تخليتنا عن عوالمنا والالتصاق بعوالمهم، بمعنى: يا ربّي أريد منك أن أصلي على النبيّ وآله لأكون معه، ولألتصق بتلكم الصفات حتّى أخرج من دار الظلمات، فإنّ الخروج من الظلمات إنما يكون ببركة ذكر الصلوات على محمّد وعلى آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

قال أبو الحسن العسكري عليه السلام: «إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم»[2].

---

(١) ولمزيد الفائدة في بيان هذا الذكر الملكوتي والسرّ الربوبيّ ولئلّا أكون ضنيناً بكشفه لأهل الولاية من المحبّين والغارقين في بحر العشق والهيمان، أنقل هذه الكلمة لأحد الأكابر رضوان الله عليه قال: الصلاة إما من الوصل أي بلّغهم مقام نحن هو وهو نحن كما في الحديث عن الصادق عليه السلام، قال: «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن فيها هو إلّا إنه هو هو ونحن نحن»، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما يقارب هذا المضمون أيضاً. أو من الصلوات أي أجعلهم مقارنين صفاتك وأقمهم مقامك، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقامه مقامه في سائر عوالمه في الاداء، إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار».

وفي قوله عليه السلام: «اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم»، معنىً دقيق ورشيق يجب كتمانه وصونه عن الجهال والضعفاء والمعاندين، معنى صلواتك على محمّد وآل محمّد ودعائك لهم، طلبك من الله تعالى تطهير ذاتك وتنوير سرّك وإشراق باطنك، لتشييد سلطانهم وتسديد أركانهم وعلوّ شأنهم وظهور شوكتهم.

(٢) علل الشرائع: ١/٣٤، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٥٤/٢٣.

فهذا الذكر هو الذي كان الواسطة في الخلّة واتّخاذ النبيّ إبراهيم عليه السلام خليلاً؛ لأنّه كان يكثر من ذكر النبيّ وآله، وكذلك لما انكشفت له هذه الحقائق ورأى ملكوت السماوات وكان من الموقنين، إنما كان ببركة المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول المحدث النوري: حدّثني مشافهة وحيد العصر وفريد الدهر الشيخ الأوحد الشيخ أحمد الشيخ زين الدين، قال: رأيتُ في المنام سيّدنا زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام فشكوت إليه عدم الاعتداد من حمل الزاد ليوم المعاد، وعدم التوفيق للتوبة الخالصة والأعمال الصالحة، فأجابني سيّد الساجدين بأن الذي عليك أن تكثر من الصلاة على محمّد وآله، ونحن نعمل بذلك، ونجعله لك عوض صلواتك على محمّد وآله صلى الله عليه وعليهم أجمعين إلى يوم الدين[1].

إذاً هذا هو السرّ المسرور والكنز المكنون فيما يتعلق في هذه الصلوات.

إنّ الإنسان يصبح ويقرأ الأدعية، سابقاً كل لفظ بالصلوات وذكر النبيّ وآله، وهكذا في الزيارات، وهكذا في مجموعة طويلة، وما نجده في أيّ دعاء سواء في كتب العامة أو كتب الخاصة، إلاّ وتجد هذا السرّ مذكوراً في أول الدعاء ومختوماً به الدعاء، وحينما نطالع ذلك لابد أن نتعرف على هذه الحقيقة، وهذه الجوهرة الفريدة، وهي أننا إذا صلّينا على النبيّ وآله ليس بمعنى أننا نطلب الرحمة من الله للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الرحمة النازلة على الخلق، وليس معناه أننا نطلب من الله أن يرفع مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا ينقصه شيء حتّى تزيده صلواتنا شيئاً، وإنما هي طلبة من الحق في رفع مقامنا لأن نرقى إلى مقامهم ونتعرف على أسرارهم.

إنّ حقيقة الصلوات كلمة واحدة وهي عبارة عن طلب التلوّن والتّصبغ بصبغة المصطفى، والاصطفاء بما اصطفاه الله عز وجل من صفات ومن مقامات

---

(١) دار السلام: ٢/١٢.

حتّى نخرج من دائرة الظلمات إلى دائرة النور المحمّدي المطلق. ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخرِجَكُم مِن الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ**﴾[١].

﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيكُم**﴾ بمعنى يكشف لكم المقامات ﴿**لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلىٰ النُّورِ**﴾، وهذا معنى إرادة السرّ في الصلوات، هو معرفة النبيّ في المقامات العليا، في مقامات قاب قوسين أو أدنى، إنّ هناك آياتٍ فيها أسرار.

وكما نتدبّر ونحن المأمورون بالتدبر في القرآن الكريم، وكما نتدبر هذه الآية أو تلك، علينا أن نتدبر هذه الآية من سورة النجم فكما نتدبر في آيات الأحكام، وفي آيات الأخلاق، وفي آيات الفروع، وفي المعاشرة، وفي الحكمة، نحن مأمورون بالتأمل والتدبر في آيات هذه السورة التي فيها بيان مقامات المصطفى الذي أراه الآية الكبرى ﴿**لَقَد رَأَىٰ مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَىٰ**﴾[٢] ولقد أراه من الآيات الكبرى الجامعة لصور عوالم الملك والملكوت.

ما المراد بهذه الآية الكبرى؟

هل هي الملائكة أو المخلوقات؟

وهل لله تعالى آية أكبر من عليّ وآل عليّ؟

كلّ هذه مظاهر، وحقيقة هذه المظاهر تلكم المخابر التي هي الآيات العظمى والكبرى، محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

إذن المقصود من الآية المباركة ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ أن كلّ ما في الوجود من بارئ ومبروء وخالق ومخلوق، كلّه يصلّي على النبيّ ﷺ، الله بعظمته يأمر الخلق أجمعين بالصلاة على النبيّ وآله إبتداءً من الحقّ، صاحب الأزل الله جل وعلا، وانتهاءً بأضعف المخلوقات، والخطاب إنما

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٤٣.

(٢) النجم: ٥٣/١٨.

هو لكل المخلوقات وكل ما في الوجود، بأن يصلّي كل حسب مقامه، كل حسب مرتبته وفهمه، هذا هو ما نستفيده من حقيقة الصلوات.

إذاً عندما نصلّي على النبيّ وآله، فلسنا في مقام طلب الرحمة والشفاعة للنبيّ وآله، فهم أصحاب الشفاعة الكبرى، وهم أصحاب الرحمة المطلقة، هم معدن الرحمة، هم مبدؤها، فكيف نطلب لهم الرحمة إذا كانوا هم أربابها، وإنّما نكون كناقل التمر إلى هَجَر، وكمن يطلب الحلم لله وهو الحليم، تماماً كما يتعامل مع الله تعالى في صفاته يتعامل مع الأولياء في صفاتهم.

استشفع رجل «بالإمام الجواد عليه السلام» فقال: يا ابن رسول الله، إنّ أبي مات وكان له مال، ففاجأه الموت، ولست أقف على ماله، ولي عيال كثير، وأنا من مواليكم، فأغثني.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «إذا صلّيت العشاء الآخرة، فصلّ على محمّد وآل محمّد، فإن أباك يأتيك في النوم، ويخبرك بأمر المال».

ففعل الرجل ذلك، فرأى أباه في النوم فقال: يا بني مالي في موضع كذا، فخذه واذهب به إلى ابن رسول الله فاخبره أني دللتك على المال.

فذهب الرجل، فأخذ المال وأخبر الإمام بخبر المال، وقال: «**الحمد لله الذي أكرمك واصطفاك**»[1].

هذه الصلوات التي نذكرها في مجالسنا يتباهىٰ بها الملائكة، وهذا من أهمّ أسرارها.

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢/٦٦٥/٥، عنه بحار الأنوار: ٥٠/٤٢/٨.

الدرس الثاني

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1]. البحث في أسرار الصلوات على النبيّ وآله.

فما المقصود وما المراد بقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾**؟

إنّ هذا التعبير من أهمّ التعابير، وكل التعابير القرآنية مهمّة ورائعة، لأنّها تكشف لنا جملة من الأسرار، ولكن هذا التعبير له معنى عميق ومغزى دقيق.

إنّ الله تعالى خالق الوجود والموجود، وبيده جلّ وعلا عوالم التكوين وعوالم التشريع، فإذا به ينادي **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾** كلهم من فوق العرش و دونه، يتوجّهون بالصلاة على محمّد وعلى آله الميامين.

الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه في كتابين من كتبه، في (عيون الأخبار) وفي (علل الشرائع)، هذا النص الذي فيه سرّ عظيم، وستجد من خلاله علاجاً، ببركة الصلاة على النبيّ وآله، لكل ما يختلجنا في حياتنا، في مجتمعنا، في صنوف تقلّبات أنفسنا، وفي علاج أوضاعنا الخاصة من خلال هذا السرّ الصلواتي.

سأل الخضر الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام، فقال: أخبرني عن الرجل كيف

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

يذكر وينسى؟ قال: «إنّ قلب الرجل في حُقّ، وعلى الحقّ طبق».

المقصود بالحُقّ: البيت أو الوعاء الخشبي، والطبق: الغطاء إذاً كلّ واحد منّا قلبه في وعاء يسمى حُقّاً، وعلى هذا الوعاء طبق «فإذا صلّى الرجل على محمّد وآل محمّد صلاة تامة، انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُق، فأضاء القلب ـ يعني صار في حال وهجان ولمعان للأنوار ـ فإذا انكشف ذلك الغطاء عن ذلك الحُقّ أضاء القلب، وذكر الرجل ما كان ينسى، فإذا نسيت اذكر محمّداً وآل محمّد. وإن هو لم يصلِّ على محمّد وآل محمّد، أو نقص من الصلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُقّ، فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره»[١].[٢]

إذاً هناك طبق على أوعية فيها قلوبنا، فإن ذكرنا النبيّ وآله انفتح ذلك الغطاء، وانكشف السرّ الأعظم، أضاء القلب وارتبط بالمصدر الأول ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَالَهُ مِن نُورٍ**﴾[٣] فمن لم يذكر النبيّ وآله، انطبق ذلك الغطاء على ذلك الوعاء، فأصبح قلبه مظلماً، ونسي ما كان ذكر، ويصبح كالحيران استهوته الشياطين يميناً وشمالاً، تتلاعب به الأهواء وتتطاير به الشياطين من متاهةٍ إلى متاهة، لأنّه نسي سرّ الله الأعظم محمّداً وآل محمّد صلوات الله عليهم.

ما هو الدليل على أنّ ذكر النبيّ يكشف الغمّة، ويحوّل القلب إلى ضياء؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٦٦/٣٥، علل الشرائع: ٦/٩٦، غيبة النعماني: ٢٧، عنهم بحار الأنوار: ٩٤/٥١/١٥.

(٢) قال المجلسيّ في بحاره: ٦١/٣٨ في بيان سرّ هذا الحديث ما لفظه: ولا يبعد أن يكون الكلام مبنيّاً على الاستعارة والتمثيل، فإن الصلاة على محمّد وآل محمّد لمّا كانت سبباً للقرب من المبدء واستعداد النفس لافاضة العلوم عليها، فكأن الشواغل النفسانية الموجبة للبعد عن الحق تعالى طبق عليها فتصير الصلاة سبباً لكشفه و تنوّر القلب واستعداده لفيض الحق إمّا بافاضة الصورة ثانياً أو باسترادها من الخزانة.

(٣) النور: ٢٤/٤٠.

وبذكرهم يصل الإنسان إلى هذه المرتبة، وبعدم ذكرهم يعمى القلب وينسى؟

وللاجابة على هذا التساؤل نعرض لك واقعة يونس النبيّ عليه السلام، **ذكر النبيّ وآله يفتق بطن الحوت**، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدحَضِينَ * فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَولَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[1].

الفلك يعني السفينة، وكانت في بداية حركتها، فاستنجد بهم النبيّ يونس بن متّى عليه السلام قال: اركبوني، وكان فارّاً من قومه غاضباً عليهم، وهذا معنى ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾[2] فركب السفينة، ووصل الأمر إلى أن يعترضه جنديّ من جنود الله المقرّبين، ذلك الجنديّ المسمّىٰ بنون وهو الحوت، فوقف تارة يروح على مقدّم السفينة وأُخرى على مؤخرها باحثاً عن يونس، أين يونس؟ فقالوا: إنّ هنا رجلاً اسمه يونس، ﴿**فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدحَضِينَ**﴾، فعملت القرعة وأعيدت ثلاث مرات، وفي كلّ مرة كان يخرج اسم يونس بن متّى، فألقوه في البحر، ﴿**فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَولَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ**﴾[3].

إذاً كان النبيّ يونس عليه السلام وهو من المرسلين وهو من المقربين وآتاه الله من العلوم، وإذا به يكون في الظلمات ليكتشف السرّ العميق، فلما وقع في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فلم يكن في بطن الحوت شيء عنده إلّا شيء أنقذه، فلولا أنّه كان من المسبحين بذكر لا إله إلّا الله، والصلاة

---

(١) الصافات: ١٣٩/٣٧ ـ ١٤٤.

(٢) الأنبياء: ٨٧/٢١.

(٣) الصافّات: ١٤٢/٣٧ ـ ١٤٦.

على محمّد وآل محمّد ;كما جاء في الروايات، لما أنجي من بطن الحوت، فـإذا أطبق الحوت فاه على من كان فيه، فلم يفتح هذا الطبق عمن فيه، إلّا بـالتسبيح والذكر.

ومن أهمّ الأذكار عند الله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ بمعنى أنّ كلّ الأسرار وكلّ ما في هذا الوجود منطوٍ في قلب النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان عروج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أعظم مقامات الجبروت، وكان عروج يونس عليه السلام إلى بطن الحوت، فما الفرق حينئذ؟ أين عوالم الجبروت، وأين عوالم الحـوت؟ وبهذا تعرف سرّ محمّد وآل محمّد وسرّ ذكرهم صلّى الله عليهم عدد ما في علمه آمين.

﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ**﴾ إذا كان البعض يناقش فـي مـعاجز وكـرامـات أهـل البيت عليهم السلام، فعليه أن يلاحظ القرآن الكريم، ونحن المأمورون بأن نتدبّر القرآن العظيم، وينادي الحق ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَىٰ * فَأَوحَىٰ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوحَىٰ * مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَد رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ المُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ المَأوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَىٰ**﴾[1].

الآية الكبرى هي عليّ وآله، فاذكروا محمّداً بالمقام الأعظم، وعليّاً بالمقام الأكرم.

هذا معنى أنّ ارتباط كل الوجود حتى الوجود البدني، وحتّى الذكر، وحتّى التعقل كله متعلق بالنور المحمدي، ولا يمكن أن يرقى ابن آدم، وأن يبلغ لتـلك المقامات ما لم يتنوّر بهم، ﴿**يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾[2]، ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَـيْسَ**

---

(١) النجم: ٨/٣٥ ـ ١٨.

(٢) النور: ٣٥/٢٤.

بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[١].

أين تكون عوالم الأنوار؟ وأين تكون عوالم الظلمات؟ ولا يمكن الخروج منها إلا ببركة الصلوات الزاكيات.

هناك دعاء عجيب المضامين وعالي المحتوى عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**اللّهمّ إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كما وصفته في كتابك حيث تقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[٢].

فأشهد أنّه كذلك، وأنّك لم تأمر بالصلاة عليه إلّا بعد أن صلّيت عليه أنت، وملائكتك، وأنزلت في محكم قرآنك ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٣] **لا لحاجة إلىٰ صلاة أحد من المخلوقين بعد صلواتك عليه**»، إذن نحن المحتاجون إلىٰ الصلوات لا النبيّ وآله.

ولذلك فإنّ الصلوات عبارة عن الرقيّ إلى المقامات للمصلّي لا للمصلّى عليه، وإلّا فإنّ النبيّ فوق هذه المقامات، وفوق هذه المراتب، وفوق هذه المنازل، ولا حاجة به إلى صلاة أحد من الخلق عليه بعد صلاتك عليه.

إذا كان المصلّي على النبيّ وآله هو الله تعالى، فحينئذ ما قيمة صلاتنا نحن الممكنات المخلوقون من ماء مهين، مَن أنا حتّى أكون في مقام الصلاة على النبيّ وآله، وإنما ذلكم مقام الله تعالى.

ثمّ يقول: «ولا إلى تزكيّتهم إيّاه بعد تزكيتك، بل الخلق جميعاً همُ المحتاجون إلى ذلك؛ لأنّك جعلته بابك الذي لا تقبل إلّا ممّن أتاك إلّا منه».

---

(١) الأنعام: ٦/١٢٢.

(٢) التوبة: ٩/١٢٨.

(٣) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

ثمّ يقول: «بابك، وجعلت الصلاة عليه قربة منك ووسيلةً إليك وزلفة عندك، ودللت المؤمنين عليه، وأمرتهم بالصلاة عليه، ليزدادوا إثرةً لديك وكرامةً عليك ووكّلت بالمصلّين عليه ملائكتك يصلّون عليه ويبلّغونه صلاتهم وتسليمهم، اللّهمّ ربّ محمّد فإنّي أسئلك بما عظّمت به من أمر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأوجبت من حقّه أن تطلق لساني من الصلاة عليه بما تحبّ وترضى وبما لم تطلق به لسان أحد من خلقك، ولم تعطه إيّاه، ثم تؤتيني على ذلك مرافقته حيث أحللته على قدسك وجنات فردوسك ثمّ لا تفرق بيني وبينه»[1]، وهذا من أسرار أهل البيت صلوات الله عليهم، هذه أسفار الميامين وزبور آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً في هذه الآية أسرار فيما يتعلق بالجانب الفكري والنفسي والبدني والروحي، وكل ما في وجود الانسان من أسرار.

روى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ**﴾ كيف هو؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم «هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، إن الله تعالى وكّل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلّا قال له ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله وملائكته: آمين، ولا أُذكر عند مسلم فلا يصلّي عليّ إلّا قال له الملكان: لا غفر الله لك وقال الله، وملائكة: آمين»[2].

يعني إنما هذا سرّ لا يرقىٰ إليه راق، ولا يبلغ إليه بالغ، مهما كان أو يكون، ولذلك كان يردع الفجرة والفسقة الذين ظلموا شعوبهم وشعوب المنطقة، فما كان يخيفهم إلّا الصلوات على محمّد وآل محمّد، وكلما كانت السياط تضرب على أبدان المؤمنين في سجون بغداد، كان البعض وهو تحت السياط يقول: السلام

---

(١) بحار الأنوار: ٣/٨٢/٩٠.

(٢) عوالي اللآلي: ٩٧/٣٨/٢، عنه بحار الأنوار: ٥٧/٦٨/٩٤.

عليك يا رسول الله، صلى الله عليك وعلى آل بيتك، حيث كانت كلمة آلك تصب على الظالمين العذاب، لقد حارب المتجبرون وبنو أُمية وبنو العباس آل الرسول، وهكذا كان مبدأ حكمهم، محاربة آل النبيّ؛ لأنّهم يعرفون ما يحملون من أسرار.

العجيب أنّ عمر بن سعد وأمثاله عندما كانوا يصلّون وكانوا يقولون حال التشهد: اللّهمّ صلِ على محمّد وآله، وهم قتلة الإمام الحسين، مِن آل محمّد؟

شمر يصلّي، وعمر بن سعد يؤمّ أصحابه بالصلاة، يصبح إماماً لهؤلاء، فلمّا كان في التشهد الوسطى الذي أجمع المسلمون على أن التشهد الوسطى لا بد أن نقول فيه: وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم، يقوله وهو قبل قليل سفك دماء آل محمّد عليهم السلام، ثمّ يصلّي عليهم في صلاته!

الدرس الثالث

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] في هذه الصلوات مضامين سامية لا يرقى إليها إلّا من حباه الله بمعرفة آل الله، محمّد وآل محمّد، وقد عبّر عن هذا السرّ الصلواتي المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم، لمّا سئل: أرأيت قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**.

قال: «هذا من العلم المكنون، ولو لا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، إنّ الله تعالى وكلّ بي ملكين، فلا أُذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلّا قال له ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله وملائكته: آمين».

الله تبارك وتعالى يؤمّن على دعاء الملكين اللذين سمعا صلاة المصلي على النبيّ وآله: «ولا أُذكر عند مسلم فلا يصلّي عليّ إلّا قال له الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته: آمين»[2].

هذا سرّ عجيب، هذا العلم المكنون الذي لم يطلع عليه أحد، إلّا من أُشرب حبّ آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين، فينكشف له السرّ في معرفة العلم المكنون المخزون المصون الذي استأثر به الله عن سائر الخلق إلّا لأتباع عليّ وآل

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) تقدم تخريجه في الدرس الثاني.

عليّ صلوات الله عليهم أجمعين.

روى الشيخ المجلسي في (البحار) بالإسناد إلى الإمام الكاظم عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه قال في جواب اليهودي الذي سأله عن فضل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام، فذكر اليهودي أنّ الله أسجد ملائكته لآدم عليه السلام فقال عليه السلام: «وقد أعطى الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من ذلك، وهو أنّ الله صلّى عليه وأمر ملائكته أن يصلوا عليه، وتعبّد جميع خلقه بالصلاة عليه إلى يوم القيامة، فقال جلّ ثناؤه: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ فلا يصلّ عليه أحد في حياته ولا بعد وفاته إلّا صلّى الله عليه بذلك عشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً بكل صلاة يصليها عليه، ولا يصلّ عليه أحد بعد وفاته إلا وهو يعلم بذلك، ويردّ على المصلي السلام مثل ذلك؛ لأنّ الله جلّ وعزّ جعل دعاء أُمته فيما يسألون ربّهم جل ثناؤه موقوفاً عن الإجابة حتّى يصلّوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا أكبر وأعظم مما أعطى الله آدم عليه السلام»[1].

إنّ السجدة كم كانت مدتها؟ وكم طالت؟ ما المدة الزمنية لها؟ كانت السجدة لآدم لمدّة محدودة، أما حقيقة الصلاة الإلهية التي تستفاد من فعل المضارعة ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ أي ما دامت الدنيا وما دام الوجود لا تنقطع صلاة الله وصلاة ملائكته على النبيّ وآله على الطلاق، فتلك سجدة زمنية محدودة بحدّ، وهذه الصلاة ربوبيّة لا إنقطاع لأمرها ولا منتهى لعددها، صلاة عددها في علم الله، صلاة تشحن الهواء وتملأ الأرض والسماء، يتنفّس بها الأولياء والأزكياء، آدم فمن دونه، لأنّهم هم المخاطبون في المقطع القرآني ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ من المؤمنين آدم، ومن المؤمنين نوح، وإبراهيم، وهكذا موسى

---

(١) إرشاد القلوب: ٢/٣٠٢، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٦٩/٥٩.

وعيسى وكلّ أولي العزم وكلّ الأنبياء ممن يصدق عليهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فهم مشمولون كلهم أجمعون بهذا الخطاب صلّوا عليه وسلموا تسليماً.

وهناك بيان عميق، وهو أنّ تلك الحالة حالة آنية، وهذه حالة زمنية تمتد بامتداد الوجود لا انقطاع لها، وقد صلّى الله من فوق عرشه على النبيّ وآله، ومن هنا تجد أنّ المراد بالتسبيح والذكر ليس فقط لا إله إلّا الله.

الذكر يصدق على لا إله إلّا الله، ويصدق على الله أكبر، ويصدق على التحميد، ويصدق على التمجيد، ويصدق على الصلوات على النبيّ وآله، ومن هنا ورد ﴿وَإِن مِن شَيءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ لَكِنَ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] ما نوع هذا التسبيح؟ لا إشكال عند أولي البصيرة والأبصار، بأنّ حقيقة التسبيح لا تكون تسبيحاً إلّا إذا كانت مسبوقة بذكر محمّد وآل محمّد صلى الله عليهم أجمعين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لعليّ عليه السلام في حديث: «إذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي، كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً»[2].

فكل دعاء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام محجوب بأكثر من سبعين حجاب، تلو حجاب حتّى يسبق دعاءه بذكر محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، ولذا ينبغي أن نعرف ما سرّ الصلوات عندما نقول: اللهم صلِ على محمّد وآل محمّد، في الصباح والمساء، والدعاء، والزيارات، وفي الأذكار.

بعض أجاب فقال: بأنّ الصلاة تعني أن نطلب الرحمة للنبيّ، أي يا ربّ ارحم النبيّ، القرآن صريح ﴿وَمَا أَرسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾[3]، يعني أنّ كل العوالم العلوية والسفلية، إنما برحمة محمّد صارت علويّة، وصارت في هذا

---

(١) الإسراء: ١٧/٤٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١/١٨٩، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٥٦/٣٠.

(٣) الأنبياء: ٢١/١٠٧.

الموقع، فالكل من العوالم محتاج للمدد المحمدي ولا عكس، ذلك لأنّه إذا إنعكس الأمر، لم يصبح رحمة للعالمين، وإنما صار العالم رحمة له.

إذاً كل ما في هذا الوجود إنما يفتقر إلى خير الموجود، صلّى الله عليه وعلى آله.

إذاً كيف نقول بأن الصلاة هي الرحمة؟ أطلقها المعصوم وأراد منّا التأمل في معنى الرحمة كما قال ذلك الذي سقاه الإمام الرضا عليه السلام، شربةً من ماء، فارتوى وشرح الزيارة الجامعة الشريفة، وشرح الصلوات[1]، فقال: المراد بالرحمة كشف وإبراز تلك المقامات التي وصل إليها المصطفى صلى الله عليه وآله مقام قاب قوسين أو أدنى، حتّى نتعرف على حقيقته وننضمّ في هويته، ونصبح من أتباع ملّته وعلى طريقته، الرحمة بمعنى يا رب اكشف لنا حقائق هذا النبيّ العلوي الملكوتي النوراني **﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَد أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُم ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُم آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**[2].

لن يهدأ للعارف بال، ولن يستكين له حال، حتّى يرقى إلى معرفة تلكم الأسرار، ببركة محمّد وآله خير الوسيلة إلى تلك المعارف.

اللّهمّ عرّفنا قدر هذه الصلوات، اللّهمّ اكشف لنا هذه المقامات والشؤونات، وأخرجنا من قعر الظلمات، وسجن الطبيعة والجمود على الألفاظ المشؤومات، شؤم بقاء الإنسان متقيّداً ومتغلّفاً لا فرق بينه وبين أبي حنيفة وأتباعه، يجب أن يخرج الانسان من هذه الظلمة ليخرق حجب كلّ شيء.

---

(١) هو المولىٰ الهمدانيّ الدرودآبادي صاحب الشرح المنيف الموسوم بـ «الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة».

(٢) الطلاق: ٦٥/ ١٠ و ١١.

يقول المتقي الهندي في (كنز العمال) وهو رجل من المخالفين ينقل بأن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أسال عن شيء دون العرش إلّا أخبرتُ عنه»[١].

إنّ الذي يريد أن يصل إلى المعرفة الحقّة، عليه أن يحكّم أصوله، ثم يذهب للأمور الفرعية الأُخرى، ففي الخبر الصحيح في الكافي الشريف: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى، الطاعة للإمام بعد معرفته»[٢]. هذه هي الذروة، يريد عليه السلام أن يقول: إن من يريد الوصول إلى المعرفة الحقة، عليه أن يحكّم أصوله، ثمّ يذهب للأُمور الفرعية الأُخرى، اعرف الحق وأهله أولاً. إذاً معرفة النبيّ وأسراره، ومعرفة آل النبيّ وأسرارهم، إذا لم تتحقق فلا فائدة بدونها ونبقى في تخلّف وظلمات.

القرآن الكريم يقول: **﴿يَا مَعشَرَ الجِنِّ وَالإنِس إنِ اسْتَطَعتُمْ أَن تَنفُذُوا مِن أَقْطَارِ السَّمَاوَتِ وَالأَرضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلطَانٍ﴾**[٣]، إذاً الأمر سهل يتمّ بالعلم والمعرفة، ومحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هم أهل العلم والمعرفة.

المرتاضون إذا أرادوا أن يرتاضوا يشرعون في ذكر الصلاة على النبيّ وآله، فكم من معارف وأسرار تنكشف لهم، سلوا أهل الذكر «واسأل به خبيراً» علماؤنا كيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه؟

في نهاية البحث أوّد أن أُشير إلى شخصية عملاقة في الزهد والعبادة والعلم وهو شيخ الفقهاء مرتضى الأنصاري قدس سره صاحب كتابي (الرسائل في الاصول والمكاسب في الفقه)، بانّ كلّ ما عنده من أسرار في العلوم والفنون المختلفة

---

(١) كنز العمال: ١٣/١٦٥/٣٦٥٠٢.

(٢) الكافي: ١/١٨٥/١.

(٣) الرحمن: ٥٥/٣٣.

منشأوه أمران: الأول: مواظبته علىٰ زيارة المولىٰ قطب دائرة الصلوات والتحيات أمير المؤمنين عليه السلام وإكثاره ذكر الصلوات على النبيّ وآله.

الثاني: ملازمته زيارة عاشوراء في كلّ يوم، لما فيها من اللعن والبراءة من أعداء آل محمّد عليهم السلام وأسرار أُخرى يعرفها أهلها[1].

(١) انظر زيارة عاشوراء وآثارها العجيبة لسماحة السيّد عليّ الموحّد الأبطحي دام علاه.

الدرس الرابع

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] في هذه الآية أسرار، ولكشف بعض هذه الأسرار، ورد عن أهل بيت الطهارة، أنّه دخل رجل على الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله، القرآن الكريم يقول: ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفترُونَ﴾[2] وفي آية أُخرى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾ إذاً كيف يمكن الجمع بين تسبيح الملائكة ليل ونهار، لا يفترون ولا يملّون ولا يسكنون، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾ كيف يمكن الجمع بين الذكر الدائم الذي لا يفتر فيه الملك من ذكر الله سبحانه وتعالى، وبين الصلاة على النبيّ وآله؟

فيجيبه الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالى لمّا خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أمر الملائكة فقال: انقصوا من ذكري بمقدار الصلاة على محمّد، فقول الرجل: صلّى الله على محمّد، في الصلاة مثل قوله: سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر»[3].

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) الأنبياء: ٢١/٢٠.

(٣) جمال الأُسبوع: ٢٣٦، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٧٢/٦٦.

إذاً ينقص الله عزّ وجلّ من ذكره، لذكر المصطفى وآله، وهذا يعني أنّ تأكيد الحق من فوق عرشه على أهمية هذا الذكر، وأنّه هو السرّ في الوصول إلى حقيقة الكلمات الأربعة، ولا يمكن فقه الكلمات الأربعة ـ وهي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر ـ ما لم يعرف محمّداً وآل محمّد عليهم الصلوات عدد الذّاكرين والذّاكرات.

إذاً فالتسبيح والصلوات سيان في حساب العمل، إن شئت سبّحت، وإن شئت صليت، بل هناك من قال بأفضلية الصلوات، فإنه الذكر الذي تنكشف به الحقائق، وهناك روايات تشير إلى أن هذا الذكر الصلواتي يخرق الحجب السبعة، ولا يدع بينك وبين الله حجاباً.

في مسألة بكاء الطفل:

هناك نصّ غريب وعجيب في مضامينه، النّص يقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم، فإنّ بكاءهم أربعة أشهر، شهادة أن لا إله إلّا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه»[1].

أولاً: بكاء الطفل في الأربعة الأشهر الأولى وارتباطه بالتوحيد:

إنّ بكاءهم في الأربعة الأشهر الأُولى، هي شهادة لا إله إلّا الله، ويكون فيها موحّداً بذكر لا إله إلا الله. وبكاءهم في الأشهر الأربعة الثانية: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآله. وبكاءهم في الأشهر الأربعة الثالثة، الدعاء للوالدين، اللّهمّ إغفر لوالديّ.

هنا تحليل عميق لهذا النص، ما هو السرّ في صراخ الطفل في الأربعة الأشهر الأُولى وبين الشهادة في التوحيد. وبين صراخه في الأشهر الأربعة الثانية وبين

---

(١) التوحيد: ٣٣١/ ١٠، عنه بحار الأنوار: ٩٤/ ٥٥/ ٢٨.

الصلوات الزاكيات، وبين صراخه في الأشهر الأربعة الثالثة وبين الدعاء للوالدين.

عندما يولد الطفل لا يعرف في هذا الوجود أُمّاً ولا أباً، وإنما يعرف الذي خلقه معرفة بالفطرة، ولذا عندما يصرخ إنما يلتجئ إلى من خلقه وإلى من هداه، وأخرجه من ذلك القبر الرحمي، فلهذا يلتجئ بالفطرة الأُولى ويهتدي بها إلى التوحيد الربوبيّ، وهذه معاني عميقة، لذا يعبر عنها بأنها أسرار.

إذاً هذا النص يصرّح بعدم ضرب الطفل، لأنّه في حال ذكر وفي حال توحيد حيث لا يهتدي إلّا إلى بارئه، إنّ هناك أسراراً في الكون، والدليل من القرآن ﴿وَإِن مِن شَيءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلَكِن لَا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُم﴾[١]. فالذي ألهمه التسبيح هو الله تعالى ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَم يعلَم﴾[٢] ألهمه بصراخه التوحيد والشهادة بالربوبية.

وبما أن الشهادة بالربوبية والتوحيد والوحدانية، لا يمكن أن نكتفي بها، إلّا إذا ضمّ إلى ذلك الشهادة للنبيّ بالرسالة والصّلاة عليه وعلى آله، حتّى في الصراخ يشترك الأمر المولَوي وحقيقة الولاية، الولاية عندما تكون اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد في صراخ هؤلاء الأطفال وعمرهم أربعة أشهر، إنما يشير أنّ كل شيء مداره وقطبه ومركزه ومحوره عليّ وآل عليّ ﴿وَإِن لَم تَفعَل فَمَا بَلَّغتَ رِسَالَتَهُ﴾[٣] يعني الرسالة السماوية المحمدية التي هي خاتمة الرسالات، وجامعة النبوات، وفيها تبيان كل شيء، وفيها أحصى الله أمر كل شيء ﴿مَا فَرَّطنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ﴾[٤] تبيان لكل شيء،كل ذلك متوقف على إبلاغ الولاية، فلا

---

(١) الإسراء: ١٧/٤٤.

(٢) العلق: ٩٦/٥.

(٣) المائدة: ٥/٦٧.

(٤) الأنعام: ٦/٣٨.

رسالة محمّدية بلا ولاية علوية، لذلك فإن هذا الإرتباط بين التوحيد والرسالة والولاية ارتباط وثيق ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1].

الشيخ الفريد يقول: الله غنيّ عن العالمين، الله غنيّ بالذات عن كلّ شيء، الله غنيّ لا يريد من الخلق شيئاً، وكل شيء مفتقر إليه، وإذا احتاج للغير أصبح مفتقراً، ولم يصبح ربّاً، وحاشا لله، فهو تعالى غير محتاج لعبادة أحد، ولا لذكر أحد، ولا لصلاة أحد، وإنما أراد للغير، والغير هم صلوات الله عليهم لا غير، وهذا هو سرّ الصلوات، يريد الله تعالى أن يقول: عندما أصلّي من فوق العرش والملائكة المقربون وجميع الأنبياء والمرسلين، الغرض في الإرداة هم لا غيرهم، فالعبادة لله بلا إشكال، ولكنّ الله تعالى لا يريد منّا هذه العبادة لحاجة فيها، ولفقره لها ولعوزه، وإنما شرّع هذه العبادة لتكون الحقيقة في الأجر والثواب، إنما هي منصبّة على أوليائه، وهذا المعنى عميق ودقيق.

إذاً مما سبق يتضح معنى إرتباط الصراخ بالتوحيد في الأشهر الأربع الأُولى من حياة الطفل.

ثانياً: بكاء الأطفال في الأربعة الأشهر الثانية وارتباطه بالولاية:

يبدأ الطفل في الأربعة الأشهر الثانية، بالتقام ثدي أُمّه ليتناول اللبن، ولكنّه لا يعرف أُمّه على نحو التعيين، وإنما يلتجئ إلى هذه الواسطة، يشعر هذا الطفل بالفطرة بأن هذا اللبن الذي يغذيه وهذه الواسطة التي تنميه، إنما هي حقيقة محمّد وآل محمّد، لأنّهم الواسطة في الإفاضة في كلّ شيء بما فيه اللبن، فبهم صلوات الله عليهم يكشف الله الضرّ، وبهم يطعم الخلق، وبهم ينزل الغيث، فإذا كان المطر

---

(١) المائدة: ٥/٥٥.

وهو الواسطة في إنماء الأرض، وإفاضة الحياة على التراب، أفلا يكون من به نسقى الماء هو الواسطة في إفاضة الحياة وغيرها على الخلق، لذا فإن الطفل لا يعرف غير إلتقام الثدي الذي يشكل الواسطة في إنمائه، ولذا يحس بالفطرة بأن إنمائه هو ببركة المفيض على من في الوجود محمّد وآله، ولذا يكون صراخه: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، لينبت اللّحم ويشتدّ العظم.

ثالثاً: بكاء الطفل في الأربعة الأشهر الأُخرى وارتباطه بالدعاء للوالدين:

إنّ صراخ الطفل يكون عبارة عن دعاء للوالدين، لأنّه يصل إلى حد المعرفة، فإذا وحّد وصلّى عرف ما عليه من تكليف بالفطرة الأُولى، لذا يتوجه إلى أُمه، فبمجرد أن يراها يعرف أنّها أُمّه فيقول بصراخه: اللّهم اغفر لهذه الأُمّ، فيطلب المغفرة لوالديه، فصراخ الطفل يمثل مبرّة لوالديه، وهذا تفسير عميق لهذا الصراخ للطفل الرقيق في أوائل أيامه.

هناك نص يشير إلى أهمية هذا السرّ، يقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت في ما يرى النائم عمي حمزة بن عبدالمطلب وأخي جعفر بن أبي طالب، وبين يديهما طبق فيه نبق، فأكلا ساعة، فتحول النبق عنباً فأكلا ساعة، فتحول العنب لهما رطباً فأكلا ساعة، فدنوت منهما، وقلت: بأبي أنتما أيّ الأعمال وجدتما أفضل قالا: فديناك بالآباء والأُمّهات، وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك، وسقي الماء، وحب عليّ ابن أبي طالب»[1].

هذهِ أسرار صلواتية منشؤها كتاب الله، ومستفادة من الأخبار النبويّة العلويّة.

---

(١) دعوات الراوندي: ٢٢٧/٩٠، عنه بحار الأنوار: ٦٣/٧٠/٩٤.

الدرس الخامس

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

الملاحظ في سجّل الأنبياء وأوصياء الأنبياء، أنّهم إذا داهمهم الخطب ونزل بهم الكرب، كانوا يتوجهون إلى الله تعالى، بأزكى الخلق وأشرفهم وأعلاهم مرتبة، لما علّمهم الله من الأسماء، ولما آتاهم من معارف هذه الأسماء، كانوا يتوجّهون إلى الله تعالى وهم في بطون الظلمات، أو إلى جانب النار، وما إلى ذلك من شدائد ذكرها القرآن الكريم، كانوا يتوسّلون بسيد المرسلين وأشرف الخلق محمّد وآله صلوات الله عليهم ما طلعت كواكب الأسحار واختلف الليل والنهار.

ولمعرفة هذا السرّ الصلواتي نبدأ بأول خليقة على وجه الأرض وهو آدم عليه السلام واقترانه بحواء. كيف حصل الاقتران بين آدم وحواء؟

لا بد من صيغة مخصوصة يحصل بها الاقتران، ولابد من مسمّىٰ لهذا الصيغة وهذا العقد، ويلزم أن يكون هناك شيء ثابت وفق شريعة السماء، ولا يكون بينهما إلّا من حيث يريد الله، وحتّى يتحقّق النكاح شرعياً فلابد أن يكون هناك مهر، فما هو مهر آدم لحواء؟

كان مهر آدم لحواء الذكر الملكوتيّ: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد.

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

إذاً ابتداء الخليقة وإنماء النسل البشري، كان على أساس هذا المسمّىٰ وهذه التسمية.

ومن هنا نشرع في البحث عن أسرار الصلوات في الشعوب التي سبقت الإسلام، بذكر بني إسرائيل، لنرى هل كانت الصلوات مرسومة ومكتوبة ومفروضة على أصحاب الشرائع السابقة وعلى أتباعها، كما أصبح في هذه الشريعة من الواجبات المفروضة على أتباعها أم لا؟

يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِن آلِ فِرعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبنَاءَكُم وَيَستَحيُونَ نِسَاءَكُم وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ**﴾[1] يسومونكم، أي يعذّبونكم فما هي وسيلة النجاة لبني إسرائيل؟

أوّلاً نذكر أقسام المعذّبين من بني إسرائيل على أيدي الفراعنة:

القسم الأول من الرجال والشباب: كانوا يعقدون على أرجلهم سلاسل ويربطونها حتّى لا يفرّ أحدٌ منهم، فكانوا يحملون الطين والرمال إلى أعالي الجبال، وكان البعض منهم يتعرّض للسقوط، ويكون مصيره الهلاك، أو يفتك به المرض، أو يتحول إلى معلول أو مشلول، فكان هذا الطاغوت الفرعونيّ يتعامل مع رجال بني إسرائيل بهذه الكيفية، وكانت هذه شدّة عظيمة عليهم.

القسم الثاني من النساء: مرّت النساء من بني إسرائيل بأفظع الفجائع في التاريخ، وقد مرّت بحالتين من الامتهان.

الحالة الأُولى: كانت تطارد كل امرأة حامل، وكان يشق بطنها فتموت على أثر ذلك، ويموت جنينها، فاتّفقت النساء مع القابلات على أن يعطين للقابلات أموالاً، لكي لا تخبر القابلة السلطة الفرعونية عن الحمل، فكانوا يأخذون المولود ويرمونه على الجبال، فمهما صرخ واستغاث لا يسمعه أحد، فكانت المرأة تأخذ

---

(١) الأعراف: ٧/١٤١.

طفلاً أو طفلين، وهكذا كان كل بني إسرائيل في كل طبقاتهم يعذّبون بهذه الكيفية، فاتّجهوا لنبيّ الله موسى عليه السلام ليخلّصهم من هذا العذاب ومن هذه الشدة، اشتكى موسى عليه السلام لربّه تعالى، وإذا بالنداء يقول: ياموسى، قل لرجال بني إسرائيل أن يتعلموا هذا الذكر من هذا اليوم.

قال موسى: وما هو هذا الذكر؟

قال تعالى: ألم تسمع بأفضل الخلق محمّد وآل محمّد؟ قال: علّمهم التوسّل إلى الله تعالى بجاه محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين.

فذهب موسى عليه السلام إلى قومه وقال لهم: قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، فكان يرفع عنهم العذاب، وقال لهم موسى: عليكم بهذا السرّ الصلواتي، فكانت هذه الطبقة تتشفع وتتوسل بالنبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين، فكان من أمرها أن رفع عنها العذاب ﴿وَإِذ أَنجَيْنَاكُم﴾ فحصلت النجاة لهم بالوسيلة العظمى صلوات الله عليهم، بهم رفع عن هذه الطبقة من بني إسرائيل الذلّ والامتهان.

أما الحالة الثانية التي مرّت بها النساء: فكن يفترشن لجلاوزة بني إسرائيل، أي إتخذوهن إماءً، فكانت تنتهك أعراضهن، فقال موسى عليه السلام: أين النساء عن ذكر محمّد وآل محمّد، فكانت المرأة من بني إسرائيل تتوجّه إلى الله تعالى متوسّلةً بهذا الإسم الأعظم، وهذا السرّ الأقوم، محمّد وآله صلوات الله عليهم، فكن يعفين من العذاب ومن الإفتراش والإنتهاك.

أما الأطفال فكانت كل امرأة منهم عندما تذهب إلى الجبل تقرأ عشر مرات:

اللّهم بجاه محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين إلّا ما نجّيت ولدي، فكان الله تعالى ينزل ملائكة على هؤلاء الأطفال لرعايتهم، فكان الملك يضع إصبعاً في فم الطفل فيتحول إلى لبن وآخره إلى غذاء، فكانوا يرتضعون بأمر الله تعالى عبر

الملائكة التي كانت تحرسهم وترعاهم، لأنّهم قد طُلْسِموا بمحمّد وآل محمّد ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿وَفِي ذَلِكُم﴾ أي في ذلك الانجاء الذي أنجاكم منهم ربّكم ﴿بَلاء﴾ نعمة ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيم﴾ كبير. يا بني إسرائيل، اذكروا إذ كان البلاء يصرف عن أسلافكم ويخفّ بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين، أفما تعلمون أنّكم إذا شاهدتموه وآمنتم به، كانت النعمة عليكم أعظم وأفضل وفضل الله عليكم أكثر وأجزل[1]؟

والبحرين مدينة تعرض سكانها لداء يصيب بمرض العيون، فكانت العين تكبر ثم تنطبق ثم تصاب بالعمىٰ، فطلسمَ السيّد هاشم البحراني ذلك المكان بذكر محمّد وآل محمّد، فرفع عنهم البلاء[2].

ما الدليل على هذه المعاني من القرآن الكريم؟

ما من نبيّ يأتي إلّا ويبشّر بمن بعده، ويقصّ أخباره، لعلمه بما سوف يكون، ولهذا يقصّ القرآن فيما يقصّ قضية عيسى عليه السلام ﴿وَإِذ قَالَ عِيسَىٰ ابنُ مَريَمَ يَا بَنِي إسرَاءِيَل إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ﴾[3].

مبشّراً أي أزفّ إلى الخلق الذي سوف يظهر بشارة بالذي لم يكن في اسمه فارق إلّا «ميم» عالم الإمكان، لم يكن في إسمه فارق بينه وبين «أحد» إلّا «الميم» أحمد، الميم التي بواسطتها خلق عالم الإمكان، فهو الواسطة في كلّ هذا السرّ الوجودي، فكيف لا يكون إذاً محمّد وآل محمّد نجاة للشعوب والأُمم ﴿وَإِذ أنجيناكُم مِن آل فِرْعَونَ يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذَابِ﴾ فلا بدّ من وسيلة لنجاة

---

(١) راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤٢/ ١٢٠، وبحار الأنوار: ٤٨/٦١/٩٤.

(٢) نقلاً عن أحد مشايخ البحرين.

(٣) الصف: ٦/٦١.

الشعوب، الوسيلة هي أشرف الخلق وأزكى الناس محمّد وآل محمّد، عليهم الصلوات التامّات.

ومن هنا كانت تعقد حلقات وجلسات بين الأنبياء والأولياء، وأهمّ ذكر كانوا يرتاضون عليه، وأشرف ورد كانوا يمارسونه، هو ورد اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد في الصباح والمساء في الليل والنهار، ولهذا كان ينجي كلّ واحد منهم سواء كان في بطن الحوت، أو أُوريد أن يلقى به في النار، أو ينشر بالمناشير وما إلى ذلك، ما كانت وسيلتهم إلّا نجّنا بمحمّد وآل محمّد و﴿**كَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1] بالأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

وهناك أسرار أُخرى في تاريخ بني إسرائيل، فلمّا ضرب موسى عليه السلام البحر بالعصا، كان كل فرق كالطود العظيم، فإذا به ييبس ويصبح ممرّاً لبني إسرائيل، وهناك روايات صريحة بأنّ الضربة كانت باسم محمّد وآل محمّد، فكيف لا والقرآن يقول: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ**﴾[2]؟ فكيف لا يتوجّه إليه موسى عليه السلام؟ وكيف لا يتوجّه إليه عيسى عليه السلام؟

كلمة عجيبة لأحد العرفاء، يقول: لو اجتمع الأنبياء والمرسلون وكبّروا تكبيرة واحدة، فما كانت تكبيراتهم مجتمعة في آن واحد تعادل تكبيرة واحدة من تكبيرات عليّ وآل عليّ.

ولهذا كانت زينب صلوات الله عليها عندما تنزل بها نازلة تتوجّه إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام وترسل الصلوات الزاكيات والتحيات التامّات على النبيّ وآله أفضل الموجودات.

---

(١) الأنبياء: ٨٨/٢١.

(٢) النجم: ٨/٥٣.

الدرس السادس

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

من الأسرار التي تنطوي في هذه الصلوات، فيما يتعلق بما مرّ من الحوادث والوقائع لدى الشعوب التي سبقت الإسلام، ومن هنا يقع البحث في دراسة مستوعبة لما كان يمارسه أبناء الشعوب آنذاك، ماذا كان عندهم من ممارسات وعبادات وتكاليف، لأنّه ما من أُمّة إلّا وخلا فيها نذير، لابدّ أن يكون هناك نذير **﴿وَلِكُلِّ قَومٍ هَادٍ﴾**[2] ولابد أن يكون الهادي، فبأي شيءٍ تقع الإنذارات، وبأي شيء تتحقق البشارات، هذا ما سيتم بحثه بشكل قرآني وواقعي حتّى نكون على بيّنة من أنّ الشعوب السابقة والأُمم الماضية والأديان الغابرة، كلها كانت تمثّل ما يمثّل هذه الأُمة من دين ورسالة، وكان هناك سرّ مشترك في جميع الأحوال والظروف، وسوف نصل إلى هذا السرّ.

ما هو هذا الإرتباط بين الشرايع والسماوات والأديان، وعوالم الملكوت، وعوالم الروح، وعوالم المجردات وعوالم الدنيا وما إلى ذلك من شئونات ووجودات؟ ما الذي يربط بينها من سرّ جامع مشترك؟ هذا السرّ سوف نكتشفه من

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) الرعد: ١٣/٧.

خلال القرآن الكريم.

هناك واقعة مهمة أعرضها بشكل تفصيلي، حتّى نصل إلى أسرار هذه الواقعة من خلال القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**وَإِذ فَرَقنَا بِكُمُ البَحرَ فَأنجَينَاكُم وَأَغرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَأَنتُمْ تنَظُرُونَ**﴾[1].

هنا سرّ، كيف نجى هؤلاء، وكيف عبروا البحر، والبحر لا يمكن أن يجوزه أحد، والمشي عليه دون الوسائط والوسائل الخاصة.

هناك سرّ آخر ﴿**وَإِذْ وَاعَدنَا مُوسَى أَربَعِينَ لَيلَةً ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ مِن بَعدِهِ وَأَنتُم ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَونَا عَنكُم مِن بَعدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾[2].

إذاً هناك أسرار أبيّنها بمقدمة ثم أدخل في مجرى البحث.

القرآن عندما يعرض هذه الحوادث، ويخاطب نبيّ الإسلام فماذا يقصد بها؟ لماذا يعرضها على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ ما الحكمة في عرض هذه القصة مع أنّ القوم قد مضى عليهم الألوف من السنوات.

يريد القرآن أن يربط بين ما عليه الأسلاف وما عليه الأحفاد، بأنّ القوم الذين عايشوا النبيّ صلوات الله عليه وآله، لهم ارتباط وامتداد بأسلافهم الماضين، فأراد أن يذكّرهم بأنّ الله تعالى قد منّ عليهم مناً عظيمة، وأهمّ تلك النعم وتلك المنن، نعمة لابد أن يتوجّهوا إليها، وهي تحقّق النجاة للأسلاف بتلك النعمة، فبنفس هذه النعمة ينجو الأحفاد، وهذا هو الغرض الأقصى والمدى الأبعد ـ على مستوى فهمنا ـ لمرام هذه الآيات.

يعني يا ملّة بني إسرائيل، يا ملّة الإسلام، ويا ملّة النصارى، لكم أجداد قد منّ الله تعالى عليهم بنعمة هامّة، وسرّ هام، ذلك السرّ الذي تحقق به النجاة لأولئك

---

(١) البقرة: ٢/ ٥٠.

(٢) البقرة: ٢/ ٥١ ـ ٥٢.

الأجداد هو نفس السرّ الذي يتحقّق به النجاة لهؤلاء الأحفاد، هذا هو الوجه في الربط بين القصص الماضية وبين الوقائع الجارية حتّى يكون هناك فهم دقيق للحقائق.

من أهمّ العبر أنّ هناك سرّاً جامعاً مكنوناً مخزوناً محفوظاً، كان يتوجه إليه الأسلاف من بني إسرائيل فينجون، فكيف كانت نجاتهم من فرعون؟

عندما اشتدت الأزمة ببني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: نحن بين مقتول ومذبوح وأسير وسجين، خلّصنا من هذه المشكلة، فأمرهم الله تعالى أن يتوجهوا إلى البحر، فلما وصلوا أراد منهم أن يقتحموا البحر، قالوا: كيف نعبر البحر؟

فقام احدهم اسمه كالب بن يوحنا، فقال لموسى عليه السلام: من أمرك بأن نقتحم هذا البحر؟ قال موسى عليه السلام: ربّي الله أمرني، وقال كالب بن يوحنا: وكيف أقتحمه؟

قال موسى عليه السلام: بأن تشهد لله بالوحدانية، وأن تقّر لمن سيأتي من بعدنا، وسيكون هو السرّ في هذا الوجود. قال: وما هو هذا السرّ؟

قال موسى عليه السلام: أن تقول: اللّهم بجاه محمّد وآله الطيبين لمّا أعنتني بجواز البحر.

قال: نحن تعلّمنا هذا الذكر من نبيّ إلى نبيّ، ومن أولي عزم إلى أولي عزم، إننا إذا أردنا أن نقتحم الشدائد ذكرنا النبيّ وآله أفضل الخلق، فإنّه بهذا الطلسم الملكوتي يتحول الماء إلى تراب، والتراب إلى ماء.

قال هذا الرجل: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين الطاهرين، ثمّ اقتحم البحر وإذا به وكأنّه يمشي على الأرض، ركض للطرف الآخر من الخليج، ثم عاد راكضاً، فلما رأوا ذلك اطمأنّت قلوبهم، ثم قال لهم: الآن توجهوا واعبروا البحر، اذكروا نبيّ الإسلام وأشرف الخلق الكرام محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم واعبروا.

قالوا: إذا لم تجفف الماء، لا يمكن أن نعبر، وسأل موسى ربّه وقال: ربّي ماذا أفعل؟ قال الله تعالى: ادعو بالسرّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وبمجرد أن ذُكِر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وإذا به يجفّ، ما هذا الإرتباط بين هذا السرّ وبين هذا البحر؟

ثمّ قالوا: نحن اثنتا عشرة قبيلة، اجعل لكل قبيلة طريقاً، فإذا كان الطريق واحداً فسوف تحصل مشاكل؛ لأن كلّ قبيلة تريد أن تتقدم، وبالتالي تخرج من الدين، فدعا الله بهم صلوات الله عليهم، وإذا بهم يحصل اثنا عشر طريقاً.

قال لهم: اعبروا، قالوا: اجعل لنا طيقاناً، الطيقان: هي ما يمكن أن يرى من خلاله مثل الجدران المعطوفة كالأقواس، لأننا نريد أن يشرف بعضنا على بعض حال العبور، ولأننا نخشى أن يحدث لأحد منا مكروه، فقال: اللّهم بجاههم اجعل لهم طيقاناً، فجعل لهم طيقاناً فعبروا.

فلمّا عبروا ووصلوا إلى الطرف الآخر من البحر، وصل فرعون وجنوده، فلمّا همّ أولهم أن يخرج وآخرهم قد دخل، أمر الله تعالى بأن يطبق البحر عليهم، فانطبق واغرقوا والقوم ينظرون إليهم، ولما وقف قوم موسى هناك، أشار إليهم بأنّ نجاتكم، إنما كانت ببركة التوسل المحمّدي العلويّ.

ولما وصلوا وعبروا، صار القرار بأن يتوجهوا إلى الله، فقال موسى عليه السلام بأنّه سوف يذهب ليحضر كتاب الله وفرقانه، فطلب منهم أن ينتظروا وغاب عنهم شهراً إمتدّ إلى أربعين ليلة، وإذا بالقوم قد توجهوا إلى عبادة العجل، فلما رجع موسى وشاهد هذه القضية، أراد أن يكتشف السرّ في وصول هؤلاء إلى عبادة العجل مع أنّهم رأوا آيات الله، ورأوا البحر قد أصبح معبّداً وغرق قوم فرعون أمامهم.

يقول الإمام العسكري عليه السلام: ما كان من أمر بني إسرائيل في عبادتهم العجل إلّا لتهاونهم بالصلاة على محمّد وآله.

يا موسى بن عمران، ما خذل هؤلاء في عبادتي واتخاذي إلهاً إلّا لتهاونهم

بالصلاة على محمّد وآل محمّد.

والعبرة هنا كما يقول الإمام العسكري عليه السلام: إذا كان الله تعالى قد خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمّد وآله، أفلا تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم محمّداً وآله، وقد شاهدتم الدلائل والآيات[1].

إذاً كلّ السرّ في نجاح هذه الأُمّة، أو في خذلان تلك الأُمّة، إنما هو بالارتباط بسرّ الصلوات، هذا الارتباط عندما يحكم يتحول المجتمع إلى مجتمع بحاره طرق، وأنهاره سبل، وسماؤه تغدق على الخلق.

فكل ما في الغابر والماضي وفي الحاضر والآتي، إنما يرتبط في سر الصلوات على محمّد وآل محمّد، وهذا المعنى نستوحيه من القرآن، ولهذا ورد في شواهد عجيبة أنّ حياة الشعوب بذكر المصطفى وآله، بل نجاة تلك الشعوب إنما هو بهذا السرّ، أي بذكر المصطفى وآله.

ولهذا ورد أنّ إبراهيم عليه السلام ما كان خليلاً لله، إلّا لكثرة صلواته على محمّد وآل محمّد[2]. وهنا إشارة إلى أن هناك سرّاً عظيماً، وهذا السرّ هو أنّ أنبياء الله ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من درجات إلّا ببركة الصلوات.

هذا اللفظ المركب من هذه الحروف ليس مجرد كلمات عادية، وإنما فيها أسرار، لذا ينبغي علينا مراعاة حرمة المصطفى وآله حتّى في الكتابة.

ينقل الشيخ القمي قصة لطيفة فيقول: كان أحد العلماء من العامة، إذا كتب اسم النبيّ كان يكتب (صلعم) بدل (صلى الله عليه وآله) فصارت هذه الكلمة مورد استهزاء، فقال له أحد العلماء: إنّ هذا غير مناسب لمقام النبيّ صلى الله عليه وآله لأن كتابة (صلى الله عليه وآله) لا تأخذ من السطر إلّا قليلاً، فكتابة هذا خير من أن تكتب كلمة مشوشة، فلم يرتدع

---

(١) راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤٥/١٢١.

(٢) تقدم ص ١٤.

هذا العالم، فكتب (صلعم) فكان من أثرها أن شلّت يده، وبقيت كذلك إلى آخر عمره، حتّى إن يده اليسرى لم يستطع الكتابة بها.

هنا يجب علينا ملاحظة التأكيد على هذا السرّ وأدائه بشكله التامّ الوارد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، يقول الحديث «إذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينهما وبين السماء سبعون حجاباً»[١] إذاً نجاة تلكم الأُمم وعزها وانتصارها على فرعون وقومه ما كان إلّا بالصلوات الزاكيات.

اللّهمّ إني أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء، البحر شيء، والنهر شيء، والقارات والمحيطات شيء كلها غارقة بالرحمة، والرحمة التي وسعت كلّ شيء هي تلك الرحمة التي ورد ذكرها في الزيارة الجامعة الكبيرة «وأنتم معدن الرحمة»[٢].

فيا أُمّة الثقلين، يا من يتلى عليكم القرآن، يا أُمة النبيّ، إنما نجاتكم تكون بهذا الذي شاهدتموه عياناً، أولئك كانوا يذكرونه غيباً ويتوسلون به، ولم يكن حاضراً كحضوره أمامكم بدناً وخلقاً.

فيريد القرآن أن يربط بين ما مضى من القصص وبين الحكمة من النجاة، وبين ما هم عليه من حالات، حتّى ينجو منهم من ينجو ببركة محمّد وآله صلوات الله عليهم ما غرّدت الأطيار وأورقت الأشجار وأينعت الثمار.

---

(١) ثواب الأعمال: ١٨٩، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٥٦/٣٠.

(٢) من لايحضره الفقيه: ٢/٣٧٠، فرائد السمطين: ٢/١٧٩.

الدرس السابع

ذكرى إستشهاد الإمام الرضا عليه السلام المعنيّ بالصلاة وسرّها ومظهرها.

هناك أسرار في حياة الإمام الرضا صلوات الله عليه، ينبغي أن نتعرف على شيء هامّ أولاً وقبل كلّ شيء، وهو معرفة المعصوم، وهو الأساس والمنطلق، فإذا لم يتحقق هذا القيد ـ قيد المعرفة ـ لا يمكن أن يتحقق أمر الزيارة وأمر المعارف الأخرى بالنسبة للإمام المعصوم عليه السلام، لذا ورد عن الصادق عليه السلام: «من زاره عارفاً بحقه، أعطاه الله تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل»[1].

المهمّ أنّك إذا قصدت الإمام لابدّ أن تقصده عارفاً، المعرفة هي الأساس في مقام المزور، ولابد أن تكون منبعثة من الأُصول والأُسس التي وردت عن أهل بيت الطهارة، وهم محمّد وآل محمّد سلام الله عليهم.

إذاً هذا القيد الهامّ ينبغي أن نتعرف على مصاديقه، كيف نكون من العارفين؟ حتّى إذا ما قصدنا المعصوم سواء كان ثاوياً في أرض طوس، أو ثاوياً في أرض طيبة، أو حالّاً في أرض النجف الأشرف، أو كربلاء المعلّاة، وغيرها من المواقع التي فيها أجساد المعصومين صلوات الله عليهم، نكون حين نقصد ذلكم الإمام متسلّحين بالمعرفة، هذا السلاح الجوهري والأساسي.

ومن هنا أنقل لكم أمرين هامّين في مقام معرفة الإمام عليه السلام، إنّ في الإمام

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٨٦/٣، عنه بحار الأنوار: ٤٩/٢٨٦/١٠.

جانبين مهمين من بين جوانب لا تحصىٰ كثرة، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى مقام المعرفة الكاملة، ولا يمكن أن نصل إلى فقه كنه المعصوم، وإنما المعرفة بالمواصفات، المعرفة بالإشارات، المعرفة بالسير التي عندهم صلوات الله عليهم، فهناك أمران من بين أُمور:

الأمر الأول: أنّ المعصوم له جانب الرحمة الرحمانية.

الأمر الثاني: أنّ المعصوم له جانب الرحمة الرحيمية.

وسيكون البحث في القسم الأول وهي الرحمة الرحمانية، وليتضح معنى رحمانية الإمام عليه السلام، وأنّه وإن كان يرعى أتباعه، ويحظى أتباعه بعناية منه خاصة، فكان يرعى في نفس الوقت جميع الخلق بالعناية العامة الرحمانية المطلقة له صلوات الله عليه، ولهذا ما قصده أحد حتّىٰ ممَّن لم يعرفه، ومَن لم يتّبعه ولم يكن شيعياً، ما قصده بحاجة أو كربة أو ملمة إلّا وجد صاحب الحاجة لها متنفّساً وكشفاً عند الإمام الرضا عليه السلام.

أولاً: المأمون العباسي والكلّ يعرف المأمون الذي لقّب عند الخاصة بالخؤون، وهو الذي غدر بالإمام المعصوم عليه السلام ودسّ السمّ إليه.

عن عبدالله الهاشمي يقول: أرسل المأمون إليّ ليلاً فتوجهت لقصره، فلما دخلت عليه وجدته حزيناً باكياً بكاءً عالياً، فعجبت لِمَ كان بكاؤه؟ فبالأمس غدر بالإمام، واليوم يبكي عليه؟! فسألته: يا فلان ما الخبر، لماذا تبكي هذا البكاء؟ فقال لي: إقرأ لي مرثية على الإمام الرضا، وقد كان هذا بعد استشهاد الإمام عليه السلام يقول: فتعجبت لماذا طلب مني أنّ أقرأ المرثية وهو قاتل الرضا عليه السلام؟

قال: يا عبدالله، أما تعلم أنّ هؤلاء عندهم علم ما كان وما يكون وما هو كائن، هؤلاء إذا أرادوا شيئاً تحقق، يقول: فتعجبت ما هذا المنطق، المأمون يقيّم الإمام بأنه عالم بما كان وبما يكون، قال له: أو ما تدري أنني كنت مبتلى، فقصدت

الإمام فقلت له: عندي جارية، وهذه الجارية معروفة بالزاهرية، وكانت كلما حملت أسقطت حملها، وأنا قصدتك راجياً منك أن تدعو لي بأن يكتب لها الحمل، وتلد لي مولوداً، وأنا أُحبّ أن يكون نسلي من هذه الزاهرية، يقول: وبدون تردّد و بدون أدنى تأمل قال الإمام عليه السلام: إنّها تلد غلاماً أشبه النّاس بأمّه، في يده اليمنىٰ خنصر زائدة ليست بالمدلّاة، أي ثابتة، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلّاة.

يقول المأمون: خرجت من عند الإمام فتعجبت من كلامه، ولم يكن قد انعقد في الرحم شيء، لأنها، بالأمس قد أسقطت، كيف عرف بما سيكون، يقول: جاءت الأيام وإذا بها تحمل وتلد مولوداً أشبه الناس بأُمّه الزاهرية، يقول: فوالله كما وصف الإمام، كان في اليد اليمنى خنصر زائدة ليست بالمدلّاة، وفي رجله خنصر زائدة ليست بالمدّلاة[1]، قال: أألام على حبّ هذا والبكاء عليه وإن كنت أنا قاتله حسداً وغيظاً، لأن الناس تعلقت به وعشقته، فأخذني الحسد فقتلت الإمام.

لو يتأمل الانسان هذه الواقعة، قبل أن تنعقد النطفة، وإذا بالإمام عليه السلام يخبر بخصائص دقيقة ولطيفة في حياة هذا المولود ابن المأمون، كيف تفسّر هذه الواقعة، وبأيّ شيء تبنون عليه هذا العلم وهذه المعرفة؟ إذا أردتم بيان هذه الحقيقة فستجدها آخر سورة يس، فسيتضح ذلك، وتعلمون تفسير العلم اللدني، العلم التصرّفي في الأرحام، يتصرّفون في الأرحام بإذن الله **«آتاكم الله ما لم يؤت أحد من العالمين»**[2].

وكلّ ذلك تفسيره في آخر آيتين من سورة يس، وستجد الشرح الوافي لهذا العلم الشافي الذي بموجبه كان بالرحمة الرحمانية العامة المطلقة التي شملت حال

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٢٤، عنه بحار الأنوار: ٤٩/٣٠/٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٤، فرائد السمطين: ٢/١٨٤.

المأمون، مع ما عليه من المكر والحيلة والسياسة الباطلة، مع كل هذه المواصفات أراد الإمام أن يبين بأن علمنا أهل البيت لا يمكن أن يحدّ ولا يحصر، كيف والقرآن ناطق وهو البيان الصادق ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَن عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾[١] ما معنى علم الكتاب؟

كلّ ما في أسرار هذا الوجود التكويني، وكل ما في هذا السرّ التشريعي، من تشريعات الزبور، ومن تقنينات الإنجيل، ومن أحكام التوراة، ومن بيانات الفرقان كلّها موجودة في قلب القرآن ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢]. الذين عندهم علم الكتاب هم صلوات الله عليهم.

ثانياً: هناك كتاب لأحد عظماء أهل السنة، الكتاب اسمه (الثقات) لابن حبّان، يتكون من عشرة مجلدات، وهو مع شدة رفضه لعلماء الشيعة ومع شدة كلماته الموجعة لعلمائنا ولرواتنا ولأساطين الأئمة عليهم السلام، يقول في ترجمة الإمام الرضا عليه السلام: قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر عليّ بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلّا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جرّبته مراراً، فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبّة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين[٣].

كان يقصد المعصوم في المُلمّة، فكانت تنكشف عنه بالرحمة الرحمانية للمعصوم ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾[٤] والمعروف أنه إذا داهمت أي إنسان مُلّمة أو مشكلة توجه إلى سلطان الدنيا والآخرة عليّ بن موسى الرضا صلوات الله

---

(١) الرعد: ١٣/٤٣.

(٢) يس: ٣٦/١٢.

(٣) الثقات: ٨/٤٥٧.

(٤) المائدة: ٥/٣٥.

عليهما أجمعين، فما وصل إليه إلّا ورجع مسروراً مستبشراً قرير العين.

وممّا ذكرناه في الرحمة الرحمانية يتضح المعنى والمراد من الرحمة الرحيمية وبالنظر الدقيق في أخبار الميامين المذكورة تفصيلاً في مدينة المعاجز للعلّامة الخبير السيّد هاشم البحراني، والعلّامة الكبير المجلسي قدس سرّهما، تعرف الرحمة الخاصّة من لدن العترة الطاهرة على أتباعهم وأشياعهم، رزقنا الله منها ما يطمئنّ بها القلب، وتعرج الروح، وما ذلك على الله بعزيز.

الدرس الثامن

إنّ هناك أسراراً في معنى هذه الصلوات، لم تدوّن، ولم تذكر، وتجد التعابير العظيمة في أسرار هذه العبادة الربانيّة في أدعية الإمام السجاد عليه السلام.

فببركة هذه الصلوات، وباعتبارنا أتباع آل النبيّ عليهم السلام، وندين بالولاء لهم، علينا أن نترجم هذه الحقائق في جوارحنا وجوانحنا وأعضائنا وأُسرنا، وأطفالنا، ومجتمعنا، وكل ما هو حولنا أو نحن نحوم حوله، هذه الأسرار التي بها تعجيل الفرج.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعاؤه بعد الفراغ من صلاة الليل: «اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد إذا ذُكِرَ الأبرار، وصلّ علىٰ محمّد وآله ما اختلف الليل والنّهار، صلاة لاينقطعُ مدَدها ولا يحصىٰ عددُها، صلاة تشحن الهواء، وتملأ الأرض والسماء»[1].

هناك من أوجب عند سماع اسم النبيّ وآله الصلاة عليه وعلى آله، فقد أفتى بذلك جماعة منهم الفاضل المقداد الكرخي، ومنهم فخر المحقّقين في شرح الصحيفة السجادية.

وهناك من أهل السنة من حكم بالوجوب إذا سمع اسم النبيّ، أوجب الصلاة عليه وعلى آله صلاة كاملة غير بتراء وغير صلعاء، وإنما يجب أن تكون كما يريد

---

(١) الصحيفة السجّادية الجامعة: ١٧٣.

الله أن يقولوا: اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، أفتى بهذا كل من الطحاوي والزمخشري، أوجب كل منهما مسألة ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله بالصلاة الخاصة[١].

وقد ورد في الكشاف: ﴿صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا﴾ أي قول الصلاة على الرسول والسلام. ومعناه: الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم: فإن قلت: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها. فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره، وفي الحديث: «من ذكرت عنده فلم يصلِ عليّ فدخل النار فأبعده الله».

ويروى أنه قيل: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[٢] فقال صلى الله عليه وآله: «هذا من العلم المكنون، ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، إنّ الله وكلّ بي ملكين فلا أُذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ إلّا قال ذانك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين: آمين، ولا أُذكر عند عبد مسلم فلا يصلّي عليّ إلّا قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته لذينك الملكين: آمين».

ومنهم من قال: تجب في كلّ مجلس مرة، وإن تكرر ذكره، كما قيل في آية السجدة وتسميت العاطس، وكذلك في كلّ دعاء في أوله وآخره[٣].

الشيخ المجلسيّ ذكر في ما يخصّ الصلاة على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فيقول: «اللّهمّ صلِّ على عليّ بن موسى الرضا، الذي ارتضيته ورضيت به من شئت من خلقك، اللّهمّ وكما جعلته حجة على خلقك، وقائماً بأمرك وناصراً

---

(١) القطرة ج ١: باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

(٢) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٣) الكشاف: ٣/٥٥٧.

لدينك وشاهداً على عبادك، وكما نصح لهم في السرّ والعلانية، ودعا إلى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصلِّ عليه أفضل ما صليت على أحد من أوليائك وخيرتك من خلقك إنك جواد كريم»[1].

الصلوات عبارة عن طلب من الله تعالى أن يكشف لنا مقامات المصطفى والمرتضى والزهراء والمجتبى والحسين الشهيد وأبناء الحسين، وأن يكشف لنا الدرجات حتّى نلحق بهم، ونتوسل بأنوارهم، ونكون معهم ببركة هذا الذكر المحمّدي.

ومن هنا نجد حالةً من الاقتران بين كشف أسرار المعاجز، وبين صلوات الناس، فكلّما سمعوا معجزةً ارتفع ذكر الصلوات الخاصة، فما سبب ذلك؟

السبب في ذلك هو وجود تناسب بين الكشف للمقام المحمدي، وبين ذكره بالصلوات الخاصة، وببركة هذا السرّ الصلواتي وصل أولياء الله، وبعض الشيعة إلى مقامات عليا.

مرض رجل من أصحاب عليه السلام، فعاده، فقال: «كيف تجدك»؟ قال: لقيت الموت بعدك ـ يريد ما لقيه من شدّة مرضه ـ فقال: «كيف لقيته»؟ قال: شديداً أليماً، قال: «ما لقيته إنما لقيت ما يبدؤك به ويعرّفك بعض حاله، إنّما النّاس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه، فجدّد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحّاً» ففعل الرجل ذلك ثمّ قال: يابن رسول الله هذه ملائكة ربّي بالتحيات والتحف يسلّمون عليك وهم قيام بين يديك فأذن لهم في الجلوس، فقال الرضا عليه السلام: «اجلسوا ملائكة ربّي» ثمّ قال للمريض: «سلهم أُمروا بالقيام بحضرتي؟» فقال المريض: سألتهم، فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك، ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم، هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ، ثمّ غمّض الرجل عينيه،

---

(١) بحار الأنوار: ٩٤/٧٦.

وقال: السلام عليك يا بن رسول الله هذا شخصك ماثل لي مع أشخاص محمّد ومن بعده من الأئمّة عليهم السلام، وقضى الرجل[١].

ما الدليل من القرآن أنّ الأئمة يكونون ماثلين بأشخاصهم ويتوجهون إلى الناس ويرون أعمالهم، وتعرض عليهم القوائم؟ ما الدليل علىٰ أنّ الأئمة شاهدون ويرون العمل وأصحاب الأعمال؟ جاء في الحديث عنهم عليهم السلام «إنّ الأعمال تعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ إثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام»[٢] فما كان من التقصير في أعمالهم سألوا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العلو سألوا الله تعالى الشكر لصاحبه ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ**﴾[٣].

نلاحظ التعبير (فسيرى) وليس سوف يرى، لأن سيرى تعبير عن الحال وتعرف بسين الحالية في اللغة، فسيرى الله العمل ورسوله والمؤمنون، المؤمنون هم آل محمّد صلوات الله عليهم. نحن معاشر الإمامية يجب أن نعرف أنّ هناك رقابة غيبية يشرف على تلك الأعمال الحجّة صلوات الله عليه، فهو الرقيب عليكم والشاهد على أعمالكم، والشهيد على ما تفعلون، وهذه حقيقة، لا بدّ أن يسلم لها كلّ من عرف إمام زمانه.

﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا**﴾ سواء العمل كان كبيراً أو صغيراً، عظيماً أو حقيراً.

﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[٤] إذاً كل ذرة مما تعملون يراها الله ورسوله والمعصوم من آل محمّد عليهم السلام رؤية

---

(١) دعوات الرواندي: ٦٩٨/٢٤٨، عنه بحار الأنوار: ٤٥/١٩٤/٦.

(٢) محاسبة النفس: ١٦، عنه بحار الأنوار: ٢٨/٣٢٩/٥.

(٣) التوبة: ١٠٥/٩.

(٤) الزلزلة: ٧/٩٩ ـ ٨.

فعلية حالية تفصيلية، لا يغيب عنهم مثقال ذرة من خير أو شرّ، في بحر أو نهر، في سماوات أو دونها، في الأرض، في العرش في اللوح والقلم، في الكرسي، كلّه معلوم حاضر تفصيلاً لدى الأئمة عليهم السلام وإمام العصر عليه السلام، لهم تمام صفة العلم والحضور، كل شيء حاضر لولي الله.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَن عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾[1].

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾[2].

هذه الضمائر كلها أسرار، ومرجع الضمير في القرآن لا يفقهه إلّا من شرح صدره للأبرار، حتى يكون وعاءً مستعدّاً لإستيعاب أسرار آل البيت عليهم السلام.

---

(١) الرعد: ١٣/٤٣.

(٢) فصلت: ٤١/٥٣.

الدرس التاسع

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] أهمّ ذكر لله هو الصلاة، وأهم عبادة افترضت على العباد هي فريضة القرب من الله والمعراج إليه.

ومن هنا نلاحظ اهتمام الأئمّة بالصلوات ونوافلها وتعقيباتها، لأنّ الصلاة انقطاع العبد إلى المولى، ومن هنا تسمى التكبيرة الأولى تكبيرة الإحرام، يعني أن المصلّي يحرم عن كل شيء، كمن يلبس ثياب الإحرام، حينئذ تترتب عليه مجموعة من الوظائف وعدّة من الرسائل الهامّة.

من أهمّ الرسائل وواجبات الصلاة هو التوجه إلى الله منقطعاً تمام الانقطاع، هذه الصلاة بما لها من حرمة، بدؤها التكبير وختمها التسليم، يعقبها كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أهمّ ذكر وقبل أن تثني رجليك، وهو أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

روى الشيخ الصدوق في (ثواب الأعمال) بسندٍ متّصل إلى أبي الحسن عليه السلام يقول: «من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل أن يثني رجليه أو أن يكلّم أحداً ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ اللّهم صلِ على محمّد وذريته، قضىٰ الله له مائة حاجة، سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة.

قال: قلت له: ما معنى صلاة الله، وصلاة الملائكة، وصلاة المؤمنين؟

قال: «صلاة الله رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له».

نسأل هنا هل المقضود بهذه المعاني الرحمة والتزكية والدعاء، فهل رسول الله ﷺ بحاجة لدعاء الناس ولرفع مقاماته وهطول الرحمة عليه؟ قد يتصور البعض هذا المعنىٰ، وهذا المعنى لا يقبل عقلاً ونقلاً، أما العقل فهو يحكم بأنه الواسطة في الفيض، فمنه تهبط الرحمة على الخلائق أجمعين **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾**[1].

وأما التزكية فهل هي إشارة إلى تزكية الملائكة له أو لهم، بأيّ معنى؟ التزكية إشارة إلى رفع كلّ ما يتعلق بالحدود والتحديد لمقام النبيّ وآل النبيّ عليهم السلام، يعني يزكّون النبيّ ﷺ عن أن يحدّ بحدّ أو يوصف بوصف يمكن أن ينطبق على الغير على الإطلاق.

يعني أنّ التزكية بمعنى الإعتراف من الملائكة بأنّ النبيّ وآله لا يقاس بهم أحد من الملأ الأعلى وممن دون ذلك إلى ما تحت الثرى، باعتبار أنّ الملائكة وظيفتها خدمة المؤمنين، وإنما تدبّر الأمور، فها هي تدور في بيوتنا، تطأ بسطنا، وتمرّ علينا وتسلّم، ولا تجلس إلّا بإذن منّا، ولا تقوم إلّا بإذن منا.

ومن سرّ آل محمّد كما يقول الصادق عليه السلام في الصلاة على النبيّ وآله: «اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد في الأولين، وصلّ على محمّد وآل محمّد في الآخرين، وصلّ على محمّد و آل محمّد في الملأ الأعلى، وصلّ على محمّد وآل

---

(١) الأنبياء: ١٠٧/٢١.

محمّد في المرسلين، اللّهم أعط محمّداً الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة، اللّهم إني آمنت بمحمّد صلى الله عليه وآله ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته، وتوفّني على ملّته، واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً، إنك على كلّ شيء قدير، اللّهم كما آمنت بمحمّد صلى الله عليه وآله ولم أره، فعرّفني في الجنان وجهه، اللّهم بلّغ روح محمّد عني تحيةً كثيرةً وسلاماً.

فإنّ من صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الصلوات هدمت ذنوبه، ومحيت خطاياه، ودام سروره، واستجيب دعاؤه، وأعطي أمله، وبسط في رزقه، وأعين على عدوه، وهيئ له سبب أنواع الخير، ويجعل من رفقاء نبيّه في الجنان الأعلى، يقولهن ثلاث مرات غدوةً، وثلاث مرات عشيةً»[1] هذا من أسرار آل محمّد صلوات الله عليهم.

لمّا تقول: اللّهمّ صلِ على محمّد وآل محمّد مرةً، ينبغي أن تعقبها بالقول: «صلاة تشحن الهواء، وتملأ الأرض والسماء»[2]، كما ورد في دعاء الإمام السّجاد عليه السلام.

ما هي هذه الصلاة التي تطبق الوجود فوقه وتحته على حدٍّ سواء، ما هو السرّ في الأمر؟ لابدّ من الوصول لحقيقة هذا السرّ، بل ورد عنهم: «يا ربّ صلِّ عليهم صلاةً عدد ما في علمك» وهل علم الله يحّد، هل علمه ينفد، هل علمه حادث؟

علم الله تعالى لا يحدّ، ولا يعدّ ولا يحصى كثرة، يعني يا رب نريد الصلاة كما في علمك شيئاً لا يحدّ ولا يعدّ ولا يحصى كثرةً، نريد بذلك الشيء اللامتناهي، الشيء اللامحدود، الشيء اللامعدود، أن تصلّي على أشرف عابد لأعظم معبود.

إذاً أشرف الموجودات في هذا الوجود هو العابد المطلق محمّد صلى الله عليه وآله،

---

(١) ثواب الأعمال: ١/١٨٧.

(٢) الصحيفة السجادية الجامعة: ١٧٣.

ومن هنا ينبغي التعرف على هذا السرّ.

إنّ للصلوات هذا المعنى الدقيق العميق، فعندما تقول مصلّياً، إنّما تريد من الصلاة استدعاء وطلب إبراز المقامات العليا، واستكشاف المنازل العليا في مقامات قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من العلي الأعلى، هذا هو المراد بالصلوات وحقيقة الصلوات، هذه هي الجواهر الحقّة، يعني أنا أدعوك، يا رب اكشف لنا وافتح لنا أسرار هذا الوجود، وبيّن لنا ذلكم المقام الذي كان أو أدنىٰ، وهذا سيتحقق عمّا قريب، إذا ظهر الإمام عليه السلام، ففي المرويات: «**إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس**»[1].

ولذلك فإنّ أفضل ما نتقرب به لإمامنا حال كوننا عارفين بمقاماته، هو أن نصلّي عليه وعلى آبائه بهذه الصلوات، فهي الأكسير الأعظم، وبهذا السرّ نجا أبو الصلت الهروي، فبعد ما قتل الإمام الرضا عليه السلام حدث شيء عجيب، أُدخل أبو الصلت السجن، فما كان له ورد يباشره سوى ذكر محمّد وآل محمّد، بينما هو في السجن وقد مضى عليه سنة توجّه للأئمة عليهم السلام وتوسل بهم، وإذا بالإمام الجواد عليه السلام يظهر لينقذه ويخلصه من السجن[2].

أئمّة أهل البيت عليهم السلام نعمة الله على الخلق، ولكن هذه النعمة لم يعرف لها قدر، آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين «**بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض**»[3]. حقّ الولاية، حقّ التصرف في الكون، آتاهم الله علم ما كان وما هو كائن وما يكون، فكيف يعترض البعض على مقامات أهل البيت عليهم السلام؟

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٦٨/٤٨٤.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في بحار الأنوار: ٥٠/٤٩ ـ ٥٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٤، فرائد السمطين: ٢/١٨٣.

فالويل كل الويل للجاحدين لحقهم والمنحرفين عنهم والظالمين لهم.

ما قتلكم سيف شمر بن ذي الجوشن بمقدار ما قتلكم جهل هذه الأُمّة، فلو كانت هناك معرفة حقيقية ما تجرّأ من تجرّأ عليكم، جعلنا الله تعالى ممن ينعم ببركة معرفتهم، سيّما معرفة إمام زماننا عليه السلام فمن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

الدرس العاشر

من أهمّ عقد المواثيق في تاريخ الخلق وفي تاريخ العهود والمواثيق، الميثاق الأول الذي أخذه الله على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾[1] هذا العهد الأول والميثاق الأول على بني البشر، وممن ظهر من بني آدم إلى الخاتم صلوات الله عليهم وقد ورد في الحديث «من صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فمعناه إنيّ أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾»[2].

وهناك مواثيق أُخرى في تاريخ الإنسان، منها ميثاق بيعة الغدير، حيث أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميثاقاً على من كان معه ممّن حج بيت الله، بعد إتمام آخر حجّة، والتي تسمى بحجّة الوداع، وأقرّهم على أنّ المولى الذي هو أولى بالنفس هو أمير المؤمنين عليه السلام، وجعل هذا اليوم ملاكاً لرسالات السماء، جعله ملاكاً للأديان، ملاكاً للسماوات، ملاكاً للعرش، مناطا للّوح والقلم والكرسي، كل ما في هذا الوجود إنما هو معلّق على هذا اليوم، فلا رسالة ولا رسول ولا نبوة ولا أنبياء ولا ديانة ولا دين ولا مؤمن ولا إيمان، بل ولا توحيد للرحمن ولا معاد وما إلى ذلك من شئونات إلاّ بتحقيق إبلاغ الولاية لأمير المؤمنين صلوات الله عليه.

---

(١) الأعراف: ١٧٢/٧.

(٢) معاني الأخبار: ١١٥/١، عنه بحار الأنوار: ٢٥/٥٤/٩٤.

تعليق كل الرسالات، السماوية والأديان الإلهية وتقرير مصيرها كان يوم الغدير، تقرير حركتها بمائة وأربع وعشرين ألف نبيّ، ومائة وأربع وعشرين ألف وصيّ، وهكذا فيما يتعلق في الأجواء العليا، الملكوت والجبروت وما أشبه، وأيضاً فيما يتعلق بالملأ الأسفل الدنيا ومن فيها، كلّ شيء معلّق على الميثاق وإعلان الولاية بهذه الآية ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1].

يعني كل ما عندك من جهود مضنية ورسالات عالية ومجاهدات لا يبلغها الأنبياء ولو اجتمعوا، لا يصلون إلى سجدة من سجدات المصطفى، ولا ركعة من ركعات النبيّ الأعظم، ولا تكبيرة من تكبيرات الرسول، لو كبّر الخلق بمن فيهم الأنبياء من أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام لما ساووا في تكبيراتهم مجتمعين مع الخلق، السماوات وما فيها والأرضين وما تحتوي، تكبيرة من تكبيرات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام منفردين، وهكذا الحال بالنسبة للأئمة عليهم السلام.

من هنا كان الميثاق غليظاً، ونزلت النقمة على من خالف وادّعى ما ليس له بحق، وعليه ما عليه الذي جعل الأُمّة تصل إلى درجة أن تحمل رأس ابن بنت نبيّها في الدواوين والصواوين، وصلت إلى هذا المستوى من التعامل، وفي محضر يزيد، كان قد جاء وفد من الروم أرسله الملك، فلمّا دخل الوفد وكان دخوله مع دخول السبايا، هذا المشهد كان مشهداً غريباً غير مألوفٍ عندهم، فسأل رئيس الوفد، وقال له: ما قضية هذا الرأس؟

قال يزيد: لا عليك، إنما هذه شئون داخلية لا تتدخل فيها.

قال: إذا رجعت وسألني ملك الروم، وقال لي: ماذا رأيت أخبرني بما شاهدته، وأنا قد رأيت هذا المشهد، فماذا أقول له؟

---

(١) المائدة: ٥/٦٧.

قال: هذا رأس ابن بنت رسول الإسلام، قال: هذا رأس ابن بنت رسول الله رسول الإسلام.

قال: وتضع رأسه في طشت، وتنكث ثناياه بهذه الكيفية، ويلك لعنك الله، إن لنا بجزيرة بين الهند والصين حافر حمار عيسى بن مريم، نذهب إليه كل عام ونقصده بالنذورات ونتبرك به هناك أياماً طوالاً، وأنتم تجعلون أبناء الأنبياء ورؤوسهم بهذه الكيفية؟! خذلك الله يا يزيد.

قال يزيد: اقتلوه إنه سوف يفضحنا، فقتل بأمر من يزيد.وقيل: إنه قتل بعد أن نطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

فكل الرزايا إنما هي من يوم الأثنين. وعندما خرجت جنازة الإمام العسكري عليه السلام فإذا بجارية من آل البيت تنادي بأعلى صوتها: هذا من يوم الاثنين.

وكذلك لما وقع زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، زيد الثائر العابد، العارف، الصادق، المؤمن، العالم، هذا الذي ثار من أجل حرمة فاطمة الزهراء عليها السلام، عندما ضرب بسهم نبت في جبينه فوقع، سئل ممّ هذا السهم؟ لم يجبهم، فلما استخرجه قال: هذا من يوم الإثنين، هذا من يوم السقيفة.

جنازة الحسن عليه السلام رشقت بسبعين سهماً، وهذا لم يحصل في التاريخ، لم يشاهد إلّا في بني أُميّة عليهم لعنة الله.

هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه: «حسين مني وأنا من حسين»[1] الحسين الذي شهد له الحق من أعلى العرش، شهد له في مواطن في القرآن الكريم، كفاكم يا خلق الله بالمباهلة ﴿تَعَالَوا نَدْعُ أَبنَاءَنَا وأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا

---

(١) مسند أحمد: ١٧٢/٤، سنن ابن ماجة: ٦٤/١، سنن الترمذي: ١٩٥/١٣، عنهم إحقاق الحق: ٢٦٦/١١.

﴿وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[١].

الشيعي في اللغة بمعنى التابع، وأشرف لفظ وأقدس تعبير في القرآن الكريم هو الشيعة، إنه أفضل وسام لأفضل نبيّ هو شيخ الأنبياء إبراهيم ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[٢] فلو كان فيه تشنيع أو خدش أو كلمة غير مستقيمة ما وسم به شيخ الأنبياء إبراهيم، إذاً شيخ الأنبياء شيعيّ.

جاء الرسول يوم المباهلة محتضناً الحسين عليه السلام آخذاً بيد الحسن عليه السلام مع أنه كان بإمكانهما المشي، فلماذا احتضن الرسول الحسين؟ إنّه يريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يلفت الأنظار، ويريد أن يقول إنّ هذا قلب الإسلام على قلب خير الأنام، ثم التفت إلى فاطمة عليها السلام وكانت خلفه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام خلف فاطمة، قال الرسول: إذا دعوت فأمّنوا، ماذا يريد أن يقول الرسول؟

يريد أن يبين بأن شرط الإجابة في الدعاء ولاية هؤلاء آل العباء، ولا يتحقق دعاء في عوالم التكوين إلّا بآمين آل محمّد، إذا دعوت فأمّنوا، يعني يا حسن بني ويا حسين بني، إذا دعوت على هؤلاء ـ وفد نصارى نجران ـ فقولوا آمين، فإن السماوات والأرضين تنخسف عن بكرة أبيها.

هذا الذي يباهل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحمل رأسه على رمح طويل، إنما هو أثر من آثار الخيانة الكبرى في يوم السقيفة المشؤومة، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

---

(١) آل عمران: ٣/٦١.

(٢) الصافات: ٣٧/٨٣.

الدرس الحادي عشر

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] الشعوب السابقة كانت لها استغاثات كما هو شأن الشعوب اللاحقة بعد الإسلام، وهكذا حال كل الشعوب، والأُمم، فإذا داهمتها الخطوب ونزلت بها الشدائد استغاثت.

إذاً الإستغاثة أمر متقبّل في جميع الشرائع السابقة والأُمم الغابرة، ولكن كيف كانت هذه الإستغاثة، وما هي صيغتها؟

القرآن الكريم يشير إلى شيء يلفت النظر **﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾**[2] إذاً هذا الاستفتاح على الذين كفروا بأيّ شيء كان؟

كان اليهود قبل الإسلام يمرون بشدائد وامتحانات، القرآن يبيّن أمر اليهود عندما كان ينزل بهم أمر وخطب جسيم.

عن الإمام العسكري عليه السلام يقول: إنّ طائفة من اليهود في أيام موسى عليه السلام وبعده، كانت تتعرض لحالات قصوى من الهجوم، مثلاً منهم الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية، كانوا يتعرضون لهجوم عنيف من قبل عشيرتي أسد وغطفان،

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) البقرة: ٢/٨٩.

إذ قرروا إبادة اليهود ونزلوا إليهم بثلاثة آلاف فارس، وكان عدد هؤلاء اليهود ثلاثمائة، فلما هجمت هاتان القبيلتان بأسحلتهم وإمكاناتهم، وحاصروا اليهود، فأوشكت الإبادة أن تقضي عليهم قضاءً حتمياً، فبدأوا يتداولون أمرهم فيما بينهم، أصحاب الرأي السديد من اليهود رأوا عزم العشيرتين على إبادتهم إبادة كلية، فقالوا لليهود: لنتأمل الكتب، ونقرأ ماذا كان الناس يفعلون أيام كليم الله موسى إذا نزلت بهم ملمة أو شدة، وإذا بهم يجدون أنّ آباءهم عندما كانوا يستغيثون، كانت استغاثتهم أن يستفتحوا دعاءهم بهذا السرّ: اللّهم بجاه محمّد وآله الطيبين الطاهرين صلِّ عليهم أجمعين، نسألك كشف الغمة عنا، فيكشفها الله تعالى عنهم.

فتوجه الكل من بني إسرائيل لمواجهة هاتين العشيرتين بالاستغاثة المحمدية، فتوجهوا إلى الله بهذا الذكر «اللّهم بجاه محمّد وآله الميامين إلّا ما كشفت عنا هذه الظلمة»، فبمجرد أن استغاثوا، أصبح لكل واحدٍ منهم قوّة وهمّة مائة رجل، عددهم ثلاثمائة فأصبح العدد مضاعفاً ﴿**إِن يَكُن مِنكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَينِ**﴾[1]، بالصبر والاستقامة وبذكر النبيّ وآله، قاموا كلهم بمواجهة الثلاثة آلاف، وبعد قتال عنيف انتهى بهزيمة هذا العدد الهائل من العشيرتين الكافرتين آنذاك.

فلمّا رجعوا فكّر أبناء العشيرتين بنتيجة القتال القاسية، ثلاثمائة يغلبوا ثلاثة آلاف رجل، فقرروا بعمل عقد مشترك بينهم وبين العشائر كلها، فوصل عددهم إلى ثلاثين ألف مقاتل، وقرروا أن يحملوا على اليهود حملة رجل واحد، فحاصروا اليهود مرة أُخرى، فلما رأى اليهود ذلك العدد، فكّروا ماذا يصنعون؟

فقال البعض من أوليائهم وأماثلهم: إن الذي نجّاكم وكنتم عدد ثلاثمائة على ثلاثة آلاف مقاتل، لهو قادر على أن ينجيكم بهذه العدة والعدد مرة أُخرى،

---

(١) الأنفال: ٨/٦٥.

إنّ الذي نجاكم هناك ينجيكم هنا، فتوجهوا بالإستغاثة بمحمّدو آل محمّد، فإنه لا مفرّ غير ذلك، وهذا استفتاحكم، فإذا لم يكن استفتاحكم بهم فكلّ شيء معطلّ، لأن الوجود بدأ بهم ويختم بهم ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعلَمُها إِلَّا هُوَ﴾[1].

قيل: ما المراد هنا بمفاتح الغيب؟ قال: هم، فتوجهوا بالإستغاثة، فنزل المطر في حمّارة القيظ، فأقعدهم عن آخرهم، أما اليهود الذين استغاثوا كانوا في أتمّ الحال، هذه هي الصفة الرحمانية على الوجود، رحمانية آل محمّد على الوجود والموجود.

كان المطر بالنسبة لليهود رحمة لأنّه لم يكن عندهم ماء، لأنّ المهاجمين سدّوا عن اليهود المحاصرين كل شيء، وأغلقوا عنهم الأنهار، فالمطر صار قسمين، قسم نقمة على المهاجمين، وقسم رحمة على اليهود المدافعين، وهذا ببركة الرحمة المطلقة لمحمّد وآل محمّد عليهم السلام.

ثمّ لمّا تخلّص اليهود من مشكلة العطش، قالوا: كيف نحصل على الطعام، فقالوا: لا سبيل لنا، فقال أماثلهم: إستغيثوا بمحمّد وآله، إنّ الله نصركم على الثلاثمائة، ثمّ على الثلاثة آلاف، فتوسلوا بمحمّد وآله إلّا ما أطعمتنا كما سقيتنا، وإذا بالقوم ينزل عليهم نعاساً فناموا، ومرت مجموعة كبيرة من البغال والجمال والحمير تحمل الحنطة والشعير، مرت على القوم وهم لا يشعرون، فمرت عليهم إلى أن وصلت الأمتعة وأنزلوها عند هؤلاء المستغيثين بمحمّد وآله، وإذا بالصباح يصبح، قال المهاجمون: سوف نهاجم اليوم اليهود وهم محاصرون جياع، وبأقل حركة سوف يموتون، وعندما أرادوا أن يتحركوا فإذا بهم يرون الأمتعة واليهود واقفون ينتظرون القتال، فوقع القتال فطحطحوهم وتمّ الأمر لليهود المدافعين، هذه ثلاثمائة حملوا على الثلاثين ألف، وكلّ واحد منهم يقول يا محمّد يا عليّ، هجموا

---

(١) الأنعام: ٦/٥٩.

على القوم فأبادوهم عن بكرة أبيهم، هذا هو نصر الله تعالى.

قال رسول الله في نصرة الله لليهود على المشركين بذكرهم لمحمّد وآله: ألا فاذكروا يا أُمّة محمّد محمّداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لننصر به ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فإنّ كل واحد معه ملك عند يمينه يكتب حسناته، وملك عند يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه، فذكر الله، وقال: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على محمّد وآله خنس الشيطانان وماتا. فقد كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا بمحمّد وآل محمّد عليهم السلام، هذا السرّ الأعظم **﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾** يعني ما عرفوا ذكر محمّد وآله الذين تعرفوا عليه، فلما جاء النبيّ وآله كفروا به في الشدائد، علماً بأنّ آباءهم وأسلافهم كانوا يستغيثون بمحمّد وآله.

فالعبرة في هذه القصة أنكم بماذا كنتم تستفتحون؟ إنّهم كانوا يستفتحون بذكرنا، بذكر محمّد وآله، وهذا الذكر الآن أمامكم، فلمّا جاءهم ما عرفوا، أي الذي عرفوا من الإستفتاح، كفروا به بعد رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فلعنة الله على الظالمين الذين ينكرون الحق بعد معرفته[1].

إذاً هذه عبرة عظيمة نستفيد منها، وهي أنّ كل شعب مهما بلغ من الجحد والكفر، فإذا استغاث بمحمّد وآل محمّد، كشف الله عنه الغمّة، كل ذاك من أسرار الصلوات الزاكيات.

---

(١) راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٩٤ ـ ٤٠١/٢٦٩ ـ ٢٧١.

الدرس الثاني عشر

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] من أسرار هذه الصلوات التي أمر الله بها من فوق السماوات، والتي باشرها هو سبحانه قبل الملائكة والمؤمنين والمؤمنات، وإذا به يهتف من لدن رحمته فوق كل هذا الوجود والموجود والمحيط به ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾، أيّ مقام هذا؟ وأيّ منزلة هذه؟ إنّ منازل الرسول ﷺ ومراتبه وعلمه وما إلى ذلك من شئونات فوق حدّ العقل الذي قال عنه القرآن ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوسَيْنِ أَو أَدنَىٰ﴾[2].

فيما يتعلق بأسرار الصلوات، ذكر علماء أهل السنة في جُلّ صحاحهم وتفاسيرهم ومروياتهم: أنّ الصلاة لا تكون صلاة مرضية عند الله تعالى حتّى تكون صلاة كاملة، والمراد بالصلاة الكاملة أي غير البتراء، وصيغة هذه الصلاة الكاملة أن تقولوا: «اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

هذه الصلوات موجودة في أغلب الصحاح والمسانيد، وهذه هي اللفظة

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) النجم: ٥٣/٨ ـ ٩.

الصحيحة، وعندما نراجع تفسير الرازي في (مفاتيح الغيب)[١] وغيره من التفاسير، نجد أنّهم قد رووا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أنّه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عرفنا كيف نسلّم عليك فنقول السلام عليك، فكيف نصلّي عليك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا: «اللّهم صلِ على محمّد وآل محمّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبرهيم وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وللأسف نلاحظ المحاضر والمفسر والخطيب في البلاد العربية وغيرها في المساجد وعبر الإذاعات يبتر الصلاة على آل النبيّ، وهذه مخالفة صريحة للمنصوص في التفاسير والصحاح والمسانيد، فمن قال ذاكراً النبيّ وقال صلّى الله عليه فهي صلاة مردودة ومحجوبة وغير مقبولة وغير مرضية لله عزّ وجلّ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن تقرن بآل محمّد عليهم السلام وإلا فليست بصلاة.

في التشهّد الوسطي تقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم.

قضية الآل مذكورة في التشهدات الوسطية في الصلوات المفروضة وفي الصلاة المندوبة، ماذا نعني بالآل؟ ولماذا يقرنون مع النبيّ حتّى في الصلوات؟

لا شكّ أنّ المراد بالآل هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذرّية الحسين عليهم السلام وهذا من المطالب القطعية، وأنّهم هم صنو النبيّ، ولا ينقطعون عنه، وأيضاً هم ورّاثه بالحق من قبل الله لا وراثة ملوكية، وإنّما نصّ قرآنيّ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٢].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٥/١٩٦.

(٢) البقرة: ٢/١٢٤.

الجعل ليس جعل أندية وسقائف وشورى وما أشبه، وإنما الجعل فرض من الله.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرضِ﴾[١] الجعل فرض من الله لا يمكن أن يدع هذه الأُمة الكاملة المتكاملة بدون أن يجعل لها وصيّاً، والحال أنّه بإجماع المسلمين ما من نبيّ إلّا وله وصيّ، وهذا كتاب الله ينطق علينا بالحق، فإنّ موسى أوصى إلى أخيه هارون، وهكذا كل الأنبياء ما استخلفهم أحد، من غير صنف الأنبياء أو الأوصياء، لا يوجد في التاريخ النبوي أن أنبياء الله قد استخلفوا في مقامهم أحداً من الناس، أو أحداً من الأقرباء أو الأوصياء أو ما شابه، وإنما هو نص من الله إلى ذلك النبيّ، هذا هو الحقّ وما بعد الحقّ إلا الضلال.

وفي شأن أسرار الصلوات، قال أحد علماء أهل السنة واسمه محمّد بن سعيد: عاهدت نفسي أن أصلّي علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبل النوم بعدد معين، فنمت ليلة مع أهلي في بعض الغرف، فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد دخل فيها، وأشرق بنور جماله جدرانها، فالتفت إلي وقال: أين الفم الذي كان يصلّي عليّ حتّى أقبّله؟ فاستحييت من تقديم فمي فقدمت وجهي فقبله، فانتبهت من كثرة الفرح وأنبهت أهلي، فكانت الغرفة تفوح من طيب رائحته، كأنّها ملئت من المسك الأذفر، وكانت تلك الرائحة تفوح من وجنتي إلى ثماينة أيام تشمّها كل الأنام[٢].

خصائص النبيّ صلوات الله عليه وعلى آله:

١ ـ أنّه لا فيء له، فإذا كان يمشي لم يكن له ظلّ، لأنّه كان كما يقول الشيخ المجلسي[٣]: كان إذا مشىٰ في ضوء الشمس غلب نوره الشمس والقمر والمصباح،

---

(١) سورة ص: ٢٦/٣٨.

(٢) دار السلام: ١٨٨/٢.

(٣) القطرة ج ١ / باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليس له ظل حتّى في أوّل النهار وآخره، لأن نوره غلب نور كلّ شيء، فما سبب ذلك؟

لم يكن للنبيّ ظلّ، أوَ تعلم سرُّ ذلك؟ لأن في ظل النبيّ شمس المولى عليّ، هذا البيت مترجم عن الفارسية[١].

ما الدليل من القرآن؟ قال تعالى في آية المباهلة: ﴿**وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم**﴾[٢]، أنفسنا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإذا كان عليّ عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو نوره الذي كان مندمجاً، معه فهما نور واحد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد، نسبّح الله بمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام[٣].

٢ ـ ما مرّ على مكان إلّا وكان طيبه وعرف طيبه منتشراً في ذلك المكان لمدة ثلاثة أيام أو أكثر[٤].

٣ ـ ما مرّ على حجر ومدر إلّا وسجد للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم[٥] وقد رأى يوسف عليه السلام ـ ورؤياه صادقة ـ أن الشمس والقمر والكواكب قد سجدت له ﴿**إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمسَ والقَمَرَ رَأَيتهُم لِي سَاجِدِينَ**﴾[٦] وأمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم، فمن هو أفضل آدم أم الخاتم؟

خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو أشرف الخلق على الإطلاق.

ومن أسرار الصلوات روي أنه دخل رجل على الصادق عليه السلام: فقال: إني

---

(١) انظر القطرة: ١/ باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

(٢) آل عمران: ٦١/٣.

(٣) بحار الأنوار: ١٢/١١/١٥.

(٤) و(٥) القطرة ـ باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

(٦) يوسف: ٤/١٢.

دخلت البيت، فلم يحضرني شيء من الدعاء إلّا الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليه السلام: «ولم يخرج أحدٌ بأفضل مما خرجت»[1].

كان أحد المجتهدين الأعاظم رحمه الله عندما يمرّ على هذه الرواية في البحث الفقهي يقول: ومن هنا نفتي بأن أفضل الأعمال وأفضل الأذكار وأفضل المندوبات ذكر محمّد وآله بالصلوات، هذا الذكر هو الإكسير الأعظم.

وكان نبي الله عيسى يقول دائماً: أبشركم بنبيّ الإسلام الأعظم ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتِي مِن بَعدِي ٱسمُهُ أحمَدُ**﴾[2] كان عيسى عليه السلام وهو من أولي العزم يخاطب الحواريين أنّ هناك بشارة لكم، إنها أعظم بشارة، سيأتي الموعود وأفضل الأنبياء والمرسلين من قبل المعبود الحق تبارك وتعالى، سيأتيكم محمود أحمد محمّد صلوات الله عليه وعلى آله، الأنبياء يبشرون، الأولياء يبشرون، وكلهم مدارهم عليه.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢/١٨٦، عنه بحار الأنوار: ٣٤/٥٧/٩٤.

(٢) الصف: ٦/٦١.

الدرس الثالث عشر

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] الأسرار وكل الأسرار إنما هي منضمّة ومندكّة في الصلوات على محمّد وآله الأبرار، ولهذا نطلعكم في هذا البحث بذكر النبيّ و آله على سرّين هامّين من أسرار هذه الصلوات الملكوتية، بل الجبروتية، بل فوق الجبروت في عوالم اللاهوت وعوالم ما لا ندرك ولا نفقه، وبهذه الصلوات تكتشف خبايا وزوايا المعارف الحقّة في الملأ الأعلى وما فوقه، وفي الملأ الأدنى وماتحته وما بينهما، كلها منطوية في اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد.

روي أنّ رجلاً طاف وأتمّ الطواف فجاء إلى الإمام وقال: لم يأتني ذكر سوى الصلوات، فقال الإمام: وأي شيء أعظم من هذا وقد ساوى المعصوم عليه السلام بين الصلوات والتسبيحات والتهليلات والتحميدات والتمجيدات على حد سواء، فهي ذكر بل أعظم الذكر كما في النّص الشريف[2].

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصِيلاً﴾[3] التسبيح تارة: الله أكبر، وتارة: سبحان الله، وتارة أخرى: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

---

(١) الأحزاب: ٥٦/٣٣.

(٢) تقدم في الدرس الثاني عشر.

(٣) الأحزاب: ٤٢/٣٣.

النَّبِيِّ﴾ يا نوح، يا إبراهيم، يا عيسى، يا مائة وأربع وعشرين ألف نبي، يا مائة وأربع و عشرين ألف وصي **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** محور كلّ شيء ذكر النبيّ وآله.

السرّ الأول:

لقد سدّت الآفاق وأُنطقت الإبل في ذكر النبيّ وآله، ففي حديث زيد بن ثابت، قال: خرجنا جماعة من الصحابة في غزاة من الغزوات مع رسول الله ﷺ حتّى وقفنا في مجمع طرق، فطلع أعرابي بخطام بعير حتّى وقف على رسول الله ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال له رسول الله ﷺ: وعليك السلام. قال: كيف أصبحت، بأبي أنت وأُمّي، يا رسول الله. قال له: أحمد الله إليك كيف أصبحت.

قال: وكان وراء البعير الذي يقوده الأعرابي رجل فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الأعرابي سرق البعير، فرغا البعير ساعة، فأنصت له رسول الله ﷺ يسمع رغاءه.

قال: ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الرجل فقال: انصرف عنه، فإنّ البعير يشهد عليك أنّك كاذب.

قال: فانصرف الرجل، وأقبل رسول الله ﷺ على الأعرابي فقال: أيّ شيء قلت حين جئتني؟ قال: قلت: اللّهمّ صلّ على محمّد حتّى لا تبقى صلاة، اللّهمّ بارك على محمّد حتّى لا تبقى بركة، اللّهمّ سلّم على محمّد حتّى لا يبقى سلام، اللّهمّ ارحم محمّداً حتّى لا تبقى رحمة.

فقال رسول الله ﷺ: إنّي أقول: مالي أرى البعير ينطق بعذره، وأرى

الملائكة قد سدّوا الآفق[١].

إنّ البعير قد نطق بعذره، يريد أن يقول: إنّ فعل هذه الصلوات وتأثيرها في عوالم الإمكان، أن جعلت الآفاق مغلقة ومطبقة، وقد أنطقت الحيوان بالحقّ وبالعذر وبالحجة، هذه هي الصلوات، وهي الإكسير الأعظم.

إنّ الدعاء يكون محجوباً بسبعين حجاباً[٢] ما لم يتصدّر بذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد.

السرّ الثاني:

لماذا جعل مهر النساء خمسمائة درهم، قيل لأبي الحسن عليه السلام: كيف صار مهر النساء خمسمائة درهم: اثنتي عشرة أوقية ونش؟ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لا يكبّره مؤمن مائة تكبيرة ويسبحه مائة تسبيحة، ويحمده مائة تحميدة ويهلله مائة مرة، ويصلّي على محمّد وآله مائة مرة، ثم يقول: اللّهم زوّجني من الحور العين إلا زوّجه الله عزّ وجل، فمن ثمّ جعل مهر النساء خمسمائة درهم، وأيما مؤمن خطب إلى أخيه حرمة، وبذل له خمسمائة درهم، فلم يزوجه، فقد عقّه واستحق من الله عزّ وجل أن لا يزوجه حوراء»[٣].

يعني كلّ شيء لابد أن يرتبط تمام الارتباط بهذه الأذكار، هناك ارتباط وهذا الإرتباط شديد ومهمّ، فيما نجده في الأخبار عن الأئمة عليهم السلام، وأنه ببركة الصلوات كان عقد أبينا آدم على حواء، لما أراد أن يصلها قالت الملائكة: قف يا آدم، قال: وَلِمَ، أليست هي مخلوقة لي، أليست هذه حواء خلقت لي؟

---

(١) أمالي الطوسي: ١٢٧/ ٢٠٠، بحار الأنوار: ٩٤/ ٥٣/ ١٩.

(٢) تقدم في الدرس الثالث.

(٣) علل الشرائع: ١/ ٤٩٩، عنه بحار الأنوار: ٩٤/ ٥٢/ ١٨.

قالت الملائكة: حتّى يأذن الله، قال آدم: وكيف يأذن لي؟

قالت: بالمهر، لابد أن تسمّي المهر حتّى تكون زوجةً لك، قال: وما مهرها؟

قالت: ـ الدعاء الربانيّ من العليّ الأعلى ـ، وهو: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد[١].

يعني هذه البشرية كلها إنما كانت آتية ببركة عقد شرعي لأوّل مخلوق ومخلوقة وكان مسمّىٰ المهر الشرعي هو الذكر المحمدي، هذا أصل الوجود في ما يتعلق بتكاثر النسل، ولهذا فإنّ البيت الذي تكثر فيه الصلوات بيت محفوظ من الشرك والشيطان والأبالسة.

هناك امرأة توفيت وعليها بعض الذنوب، وكانت معذّبة بذنوبها في قبرها، فلمّا دخل بعض المصلّين وبعض الأولياء تلك المقبرة، ووصل إلى قبرها، إذا به يقول: اللّهم صلِ على محمّد وآل محمّد، ـ يراها فيما يرى النائم ـ أقرب الناس إليها وهي تبشّره أنّ العذاب مهما كان شديداً وقوياً ومؤكداً، فلمّا ذُكِر النبيّ وآله وإذا بالنداء كفّوا عن عذابها، ألم يذكر محمّد وآل محمّد[٢]، وكيف يجتمع النور مع الظلمة؟ إنّ هذا لأمر عظيم حقيقة.

إنّ هذا الكون كله بما فيه من عوالم، الله تعالى قادر أن يخلق مثله، وبما فيه من عجائب ودقائق ما يرى و ما لا يرى يمكنه أن يخلق مثلها بلايين بلايين المرات، فإذا كان الله قادراً على أن يصنع هذا الملك والملكوت وتلكم العوالم، وهو الغنيّ المطلق عن كلّ شيء، وهو غنيّ عن العالمين، يملّكها محمّداً وآله، فهل ينقص ذلك من خزائنه شيئاً؟

ما قيمة هذا الوجود بالنسبة للمحمود محمّد وآله ﷺ؟

إذا كان الله تعالى قد خلق الكون لأعزّ مخلوق «ما خلقت سماءً مبنيّةً ولا

---

(١) و(٢) انظر القطرة ج ١ / باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا ملكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فُلكاً تسري، إلّا في محبة هؤلاء الخمسة»[١] لا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً، وقد أخذ على نفسه أن يملّك الكون لمحمّد وآله، ولذا ينبغي للإنسان أن يعرج بروحه ويصعد بعقله إلى معارف آل محمّد حتّى يبلغ الذروة العليا، ولا يظلّ دائماً شأنه شأن البهائم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٢] من هم هؤلاء الذين يمثّلهم القرآن تارة بالحمير وتارة بالأنعام وأُخرى بالبهائم، على ألسن الأئمة عليهم السلام، إنما إشارة إلى الذين يقفون حائلاً دون معارف آل محمّد صلوات الله عليهم، هذه هي كل الحقيقة، ولو تقرأ الروايات المتعلقة بهذه الأمثلة، لوجدتها تشير إلى هذا الصنف الذي يحول دون معرفة الناس الحقّة لآل البيت، هناك نص صحيح وصريح ومن حيث السند فهو في غاية الكمال، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»[٣]. ما المقصود بالخلق؟

آدم من الخلق، نوح من الخلق، وإبراهيم وهكذا جميع الأنبياء وجميع الكائنات والمكنونات مخلوقة، ولكن ما المقصود بالحجّة قبل الخلق؟ تجد الجواب مسطوراً بأحرف النور في الزيارة الجامعة الكبيرة الشريفة «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين»[٤]. والحجّة مع الخلق أي لا تخلو الأرض من الحجّة. والحجة بعد الخلق، يعني إذا فني كلّ شيء سوى الحق، يكون بعد فناء كل شيء الحجّة «وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء»[٥] ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا

---

(١) عوالم فاطمة عليها السلام: ٦٤١.

(٢) الفرقان: ٢٥/٤٤.

(٣) الكافي: ١/١٧٧/٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٢، فرائد السمطين: ٢/١٨٢.

(٥) مصباح المتهجد: ٨٤٤.

﴿وَجْهَهُ﴾[١] الوجه هو الحجة عليه السلام قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، إذا كان الإنسان لا يفهم هذه المعاني يصبح كالريش في مهبّ الريح.

نحن مطالبون بمعرفة الأئمّة الميامين، فكل شيء متفرّع على معرفة الحقّ، والحقّ آل محمّد عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) القصص: ٢٨/٨٨.

الدرس الرابع عشر

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] من أسرار هذه الصلوات الزاكيات وهذه التحيات المباركات، أنّ من واظب عليها وصلّى على محمّد وآل محمّد، فقد ورد عنهم عليهم السلام أنّه من يواصل هذا السرّ ويصلّي على النبيّ وآله، فكأنّه يقول: «إنّي على الميثاق والوفاء» وهذا سرّ.

يفسّر المعصوم هذه الصلوات بهذه العبارات حيث يقول:

«من صلّى على النبيّ وآله، فمعناه أنّي على الميثاق وعلى الوفاء حين قبلت نداء الربّ: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾**[2]».

معنى هذه العبارة أنا المتعهد والمواظب والممارس لهذا السرّ الملكوتي النازل، بل هذا السرّ فوق اللاهوت الذي نزل من عند الله **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ﴾** وهو بحسب الواقع تجييش كامل لدائرتي الواجب والحقّ إذا صح التعبير، والممكن والخلق وما بينهما من الإمكان الراجح، كله مجيّش من الله تعالى إلى أصغر ذرّة، كلهم مجيّشون ذاكرون محمّداً وآل محمّد، وكان ابتداء الخليقة بهذا السرّ.

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

(٢) الأعراف: ٧/١٧٢.

لمّا خلق الله تعالى هذا الوجود والموجود على هيئة الذرّ، كما نص القرآن لما عرض عليهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أليس محمّد نبيّكم؟ أليس عليّ إمامكم ووليّكم؟ قالوا: اللّهمّ بلى، فمن صلّى في هذه الدنيا وكان من المواظبين عليها، يكشف هذا الفعل عن أنه قال: بلى لمحمّد وآل محمّد، ومن أبىٰ وامتنع وتكبّر عن هذا السرّ، أو من كان مصلياً ولكن كانت صلاة صلعاء بتراء، كان ممن خوطب «ألست بربكم؟ قالوا: بلى، أليس محمّد رسولكم ونبيكم؟ فسكت، أليس عليّ وليكم؟ فسكت» فهذا الذي في الدنيا لم يطيّب فاه بالصلاة الكاملة، أو كان يصلّي وصلاته بتراء، فهو ممن أحجم بلا.

إذاً السرّ الأول الذي نستلهمه بأنّ المقرّ بالصلاة الكاملة هنا فهو مقرّ بها هناك، وأن من لم يقرّ بها أو أنقصها فهو لم يقرّ بها هناك حينما كان الخطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومن هنا تجد التأكيد عند الأئمة عليهم السلام حتّى عند ذكر الأنبياء.

قال معاوية بن عمار: ذكرت عند أبي عبدالله عليه السلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد الأنبياء، فابدأ بالصلاة على محمّد ثم عليه، صلّى الله على محمّد وآله وعلى جميع الأنبياء»[1].

قدّم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلق حتّى في الصلوات، لا يمكن أن تذكر نبيّاً تعقبه بالذكر الخاص دون ذكر المصطفى وآله، وكذلك في مجالسنا طالما يتكرر الحديث عن موسى ويقول عليه السلام، وعن عيسى يقول عليه السلام، هذا قول ناقص، وهذه صلاة بتراء، وهذا تسليم أبتر، والتسليم الأتمّ والصلاة التامة أن تقول: على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام.

في معرض خبر مفصّل يذكره الشيخ المجلسي في كيفية الصلاة على

---

(١) أمالي الصدوق: ٦١٩/٤٦٢، أمالي الطوسي: ٩٥١/٤٢٤، عنهما بحار الأنوار: ٥/٤٨/٩٤.

النبيّ ﷺ عن كعب بن عجرة، قال: إنّ رسول الله ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علّمتنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟

قال: «قولوا اللّهمّ صلِّ على محمّد كما صلّيت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[١].

وآخر يقول في محضر الإمام الصادق عليه السلام: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم ، فقال عليه السلام: «لا، ولكن كأفضل ما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»[٢].

ولذلك ورد في الصحيفة السجادية من معاني الصلاة: «اللّهمّ صلِّ على محمّد ورسولك وآل محمّدٍ صلاةً عاليةً على الصلواتِ مشرفة فوق التحيات صلاة لا ينتهي مددها ولا ينقطع عددها كأتمّ ما مضىٰ من صلواتك على أحدٍ من أوليائك»[٣].

وقال فديته نفسي في موضع آخر: «اللّهمّ صلِّ على محمّد وآله إذا ذُكِر الأبرار، وصلّ على محمّد وآله ما اختلف الليل والنهار، صلاة لا ينقطعُ مددها ولا يُحصى عددُها صلاة تشحن الهواء وتملأ الأرض والسماء، صلّى الله عليه حتّى يرضى صلّى الله عليه وآله بعد الرّضا صلاةً لاحدّ لها ولا منتهىٰ يا أرحم الراحمين»[٤].

يريد أن يقول أنه يا ربّ صلِّ عليه صلاة لا تقف عند غاية الرضى المحمّدي بل وبعد الرضا، صلاة حتّى الرضا وبعد الرضا، يريد أن يقول الإمام: لا حدّ ولا عدّ ولا إحصاء.

وهاهنا معانٍ عظيمة ودقيقة، فلو تأمل الإنسان في مضامين تلكم العبارات من خصائص المصطفى ﷺ تغلّب أنواره على أنوار الشموس والأقمار، يغلب

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٢٩/٩٥٨، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٤٨/٦.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/٤٩/١٠.

(٣) الصحيفة السجادية الجامعة: ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٣.

نوره على كل شيء، والرسول لا فيء له، عليه إشراقة نورانية والظلّ لا يظهر إلّا إذا كان هناك ظلمانية، وهذا دليل على ظلمانية الخلق دون المصطفى.

هناك تحليل لأحد العرفاء، صحيح أنّ نور المصطفى بلا أشكال يغطي كلّ نور، ولكن هذا الظلّ إنما كان بالشمس العلوية التي لا تفارق النفس المحمّدية ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾[1] إذ هو نفسه.

هناك نصّ يكشف الأسرار، رجل اسمه حريز يدخل على الإمام الصادق عليه السلام يقول: جعلت فداك، كيف الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: قل: «اللّهم صلِّ على محمّد وأهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قال: فقلت في نفسي: «اللّهم صلّ على محمّد وأهل بيته»، فقال لي: «ليس هكذا قلت لك، قل: اللّهم صلِّ على محمّد وأهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً».

قال: فقلت كما قال، فقال لي: «قل: اللّهم صلّ على محمّد وأهل بيته الذين ألهمتهم علمك، واستحفظتهم كتابك، واسترعيتهم عبادك، اللّهم صلّ على محمّد وأهل بيته الذين أمرت بطاعتهم، وأوجبت حُبّهم ومودّتهم، اللّهم صلّ على محمّد وأهل بيته الذين جعلتهم ولاة أمرك بعد نبيك صلّى الله عليه وعلى أهل بيته»[2].

لم يقل الإمام عليه السلام بعض علمك، أو من علمك، وإنّما قال: علمك، وعلم الله تعالى لا حدّ له.

أشهد أنّك خازن كلّ علم، ما من علم إلّا وهو خازن له صلّىٰ الله علىٰ محمّد وآل محمّد، وهذه مضامين عالية ينبغي أن نتأمل فيها.

---

(١) آل عمران: ٣/٦١.

(٢) جمال الاسبوع: ٢٤٠، عنه بحار الأنوار: ٩٤/٦٧/٥٥.

لو تأمّلنا الزيارة المخصوصة للمولى الحجّة عجّل الله فرجه «**السلام يا ناظر شجرة طوبىٰ وسدرة المنتهى**»[١] بمعنى إذا نظر المولى ورفع بصره، إنما يكون الحدّ الذي ينتهي إليه بصره هو شجرة طوبى وسدرة المنتهى.

﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السدرة مَا يَغْشَىٰ**﴾[٢].

لماذا تحاجّونه على ما هو عليه من مرتبة، إن هذا النمط موجود في كلّ عصر وفي كلّ جيل وكل زمان، دائماً أهل البيت عليهم السلام موقع السؤال والشبهة والتشكيك وما إلى ذلك، نفس الأمر الذي كان عليه أولئك في الصدر الأول.

﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ**﴾ تحيَّر الكمّل وعييت الفصحاء وعجزت البلغاء عن أن تصف شأناً من شئونات أو مقاماً من مقامات آل محمّد صلوات الله عليهم.

هناك من يتمسّك بالآية ﴿**هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً**﴾[٣] ويكتب كتاباً متمسّكاً بهذا النص دون إمعان النظر «أم على قلوب أقفالها» لا ينظر إلى بقية الآيات التي تشير إلى مقامات النبيّ وآله، ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**﴾[٤] هذه الحقائق يجب أن تعرف حتّى ينطلق الإنسان إلى المعارف والمضامين السامية.

فلو يتأمل الإنسان في دعاء السمات، سيجد فيه مضامين عجيبة والزيارة الجامعة الكبيرة التي فيها نصوص عجيبة منها «ذلّ كلّ شيء لكم»[٥] الشيء يصدق على جبرئيل، ويصدق على إسرافيل وميكائيل على العرش والكرسي، واللوح

---

(١) مفاتيح الجنان: ٥٢٦، من زيارة صاحب الأمر عليه السلام.

(٢) النجم: ٥٣/١٢ ـ ١٦.

(٣) الإسراء: ١٧/٩٣.

(٤) النجم: ٥٣/٨ ـ ٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٤، فرائد السمطين: ٢/١٨٤.

والقلم، كل شيء خاضع بوجوده وجواهره وأعراضه وصفاته وأطواره وأكواره وأدواره وما يتصف به من صفات ملازمة ذاتية أو غير ذاتية مفارقة، كلّ شيء في الكون من الذرة إلى أكبر مجرّة، ما يرى و ما لا يرى ممّا نعلمه وما لا نعلمه، خاضع بالكلية لولي الله الأعظم من آل محمّد صلوات الله عليهم.

اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد الذين ألهمتهم علمك واستحفظتهم كتابك واسترعيتهم خلقك، واسترعاكم أمر خلقه إذ جعل كل شئونات هذه الخلائق مربوطة بهم، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، ولهذا لا تجد شيئاً في هذا الكون إلّا وهو متحقق بالفيض الأعظم، والفيض الأقدس، وبالتالي تنزّل إلى مراتب الوجود ببركة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم.

إذاً الصلوات أسرار، ولا بدّ من فقه هذا السرّ الذي كان يباشره أنبياء الله، وأولو العزم من الرسل، إذا نزلت بهم ملمة أو واقعة استنجدوا بمحمّد وآل محمّد، سواء الذي وقع في بطن الحوت، أو الذي صعد في عروجه إلى أعلى الجبروت، كلهم في حالة الصلوات دون انقطاع، إذا كان التراب الذي تحت حافر رمكة جبرئيل له هذا الدور، بأن يحوّل سبعين ألف من بني إسرائيل إلى عبدة عجل، لأنه استطاع أن يأخذ التراب من حافر الرمكة، ويقلب الناس ويتكلم بالعجائب، فكيف بإسم محمّد وآل محمّد؟

ينبغي أن تكون التسمية باسم امام أو باسم مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام التي هي محور الكون والوجود على الإطلاق، هناك سرّ في التسمية بإسمها عليها السلام، الإمام الكاظم عليه السلام يقول: «بيت فيه اسم فاطمة لا يدخله فقر»[1]، لأن الإسم مبارك، وله أثر تكويني وتصرف تكويني في المخلوقات بحيث لا يجتمع في بيت واحد اسم فاطمة والفقر صلوات الله عليكم يا آل الله.

---

(١) عدّة الداعي: ٥٩، عنه بحار الأنوار: ١٠١/١٣١/٢٥.

الدرس الخامس عشر

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1] من أسرار هذه الصلوات وهذه التسليمات أنّ القرآن ينزل لبيان عظمة هذه الصلوات.

هناك حادثة تاريخية وقعت في بني إسرائيل، وهي أنّ امرأة حسناء ذات جمال وخلق كامل، وفضل بارع، ونسب شريف وسترثخين كثر خطابها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة، فرضيت بأفضلهم علماً وأثخنهم ستراً، وأرادت التزويج به، فاشتدّ حسد ابني عمّه الآخرين له غيظاً، وغبطاه عليها، لايثارها إيّاه، فعمدا إلى ابن عمّهما المرضي، فأخذاه إلى دعوتهما، ثم قتلاه وحملاه إلى محلّة تشتمل على أكثر قبيلة في بني إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلا.

فلمّا أصبحوا وجدوا القتيل هناك، فعرف حاله، فجاء ابنا عمّه القاتلان له، فمزّقا ثيابهما على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤوسهما، واستعديا عليهم، فأحضرهم موسى عليه السلام وسألهم، فأنكروا أن يكونوا قتلوه، أو علموا قاتله.

فقال: فحكم الله عزّ وجلّ على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه، فالتزموه.

فقالوا: يا موسى أيّ نفع لنا في أيماننا إذا لم تدرأ عنّا الغرامة الثقيلة؟ أم أيّ نفع في غرامتنا لنا إذا لم تدرأ عنّا الأيمان؟

---

(١) الأحزاب: ٣٣/٥٦.

فقال موسى عليه السلام: كلّ النفع في طاعة الله والإئتمار لأُمره، والانتهاء عمّا نهى عنه.

فقالوا: يا نبيّ الله غرم ثقيل ولا جناية لنا، وأيمان غليظة ولا حقّ في رقابنا لو أنّ الله عرّفنا قاتله بعينه، وكفانا مؤنته، فادع لنا ربّك يبيّن لنا هذا القاتل لننزل به ما يستحق من عقاب، و ينكشف أمره لذوي الألباب. فقال موسى عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قد بيّن ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم، ولا أعترض عليه فيما أمر.

ألا ترون أنّه لما حرّم العمل في يوم السبت، وحرّم لحم الجمل، لم يكن لنا أن نقترح عليه أن يغيّر ما حكم به علينا من ذلك، بل علينا أن نسلّم له حكمه، ونلتزم ما ألزمنا.

وهمّ بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثهم فأوحى الله عزّ وجل إليه: يا موسى، أجبهم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أبيّن لهم القاتل ليقتل، ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فإنّي إنّما أريد باجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أُمّتك، دينه الصلاة على محمّد وآله الطيّبين، والتفضيل لمحمّد صلى الله عليه وآله وعليّ بعده على سائر البرايا، أغنيه في الدنيا في هذه القضية، ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمّد وآله.

فقال موسى: يا ربّ بيّن لنا قاتله.

فأوحى الله تعالى إليه: قل لبني إسرائيل: إنّ الله يبيّن لكم ذلك بأن يأمركم أن تذبحوا بقرة، فتضربوا ببعضها المقتول فيحيا فتسلّموا لربّ العالمين ذلك، وإلّا فكفّوا عن المسألة، والتزموا ظاهر حكمي.

فذلك ما حكى الله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ أي سيأمركم ﴿أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1] إن أردتم الوقوف على القاتل، وتضربوا المقتول

---

(١) البقرة: ٢/٦٧.

ببعضها ليحيا ويخبر بالقاتل ﴿قَالُوا﴾ يا موسى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ وسخرية؟ تزعم أنّ الله يأمرنا أن نذبح بقرة، ونأخذ قطعة من ميّت، ونضرب بها ميّتاً، فيحيا أحد الميّتين بملاقات بعض الميّت الآخر له، فكيف يكون هذا؟

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَن أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ أنسب إلى الله تعالى مالم يقل لي، وأن أكون من الجاهلين، أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت، دافعاً لقول الله عزّ وجلّ وأمره.

ثم قال موسى عليه السلام: أوليس ماء الرجل نطفة ميتة، وماء المرأة كذلك، ميّتان يلتقيان فيحدث الله تعالى من التقاء الميّتين بشراً حيّاً سويّاً؟ أو ليس بذوركم التي تزرعونها في أرضكم تنفسخ وتَتَعفّن وهي ميتة، ثم يخرج الله منها هذه السنابل الحسنة البهيجة وهذه الأشجار الباسقة المونقة؟

فلمّا بهرهم موسى عليه السلام قالوا له: يا موسى ﴿ادعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾؟ أي ما صفتها لنقف عليها.

فسأل موسى ربّه عزّ وجل، فقال: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ كبيرة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ وسط ﴿بَينَ ذَلِكَ﴾ بين الفارض والبكر ﴿فَافعَلُوا مَا تُؤمَرُونَ﴾ إذا أمرتم به.

﴿قَالُوا﴾ يا موسى ﴿ادعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا لَونُهَا﴾ أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا بذبحها.

قال موسى ـ عن الله بعد السؤال والجواب ـ ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفرَاءُ فَاقِعٌ﴾ حسنة الصفرة ليس بناقص، يضرب لونها إلى البياض، ولا بمشبع يضرب إلى السواد ﴿لَونُهَا﴾ هكذا فاقع ﴿تَسُرُّ﴾ البقرة ﴿النَّاظِرِينَ﴾ إليها لبهجتها وحسنها وبريقها.

﴿قَالُوا ادعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ﴾[1] ما صفتها؟ يزيد في صفتها.

---

(١) البقرة: ٦٧ ـ ٧٠.

﴿قَالَ﴾ عن الله تعالى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرضَ﴾ لم تذلّل لاثارة الأرض ولم ترض بها ﴿وَلَا تَسقِي الحَرثَ﴾ ولا هي ممّا تجرّ الدلاء، ولا تدير النواعير قد أُعفيت من ذلك أجمع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب كلّها، لا عيب فيها ﴿لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾[1] لا لون فيها من غيرها.

فلمّا سمعوا هذه الصفات قالوا: يا موسى، أفقد أمرنا ربّنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى.

ولم يقل موسى في الابتداء: إنَّ الله قد أمركم لأنّه لو قال: إنّ الله أمركم لكانوا إذا قالوا: ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي ومالونها؟ كان لا يحتاج أن يسأله ـ ذلك ـ عزّ وجلّ، ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول: أمركم ببقرة، فأي شيء وقع عليه اسم بقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها.

قال: فلمّا استقر الأمر عليهم، طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها إلّا عند شاب من بني إسرائيل أراه عزّ وجلّ في منامه محمّداً وعليّاً وطيّبي ذريّتهما، فقالوا له: إنّك كنت لنا وليّاً محبّاً ومفضّلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلّا بأمر اُمّك، فإنّ الله عزّ وجلّ يلقّنها ما يغنيك به وعقبك.

ففرح الغلام، وجاءه القوم يطلبون بقرته، فقالوا: بكم تبيع بقرتك هذه؟

قال: بدينارين، والخيار لاُمّي. قالوا: قد رضينا بدينار. فسألها، فقالت: بأربعة. فأخبرهم فقالوا: نعطيك دينارين. فأخبر اُمّه، فقالت: بثمانية.

فما زالوا يطلبون على النصف ممّا تقول اُمّه، ويرجع إلى اُمّه، فتضعّف الثمن حتّى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون ملؤه دنانير، فأوجب لهم البيع.

ثمّ ذبحوها، وأخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي منه خلق ابن آدم، وعليه يركّب إذا اُعيد خلقاً جديداً، فضربوه بها، وقالوا: اللّهم بجاه محمّد وآله الطيّبين لمّا

---

(١) البقرة: ٢/٧١.

أحييت هذا الميّت، وأنطقته ليخبرنا عن قاتله.

فقام سالماً سويّاً وقال: يا نبيّ الله قتلني هذان ابنا عمّي، حسداني على بنت عمّي فقتلاني، وألقياني في محلّة هؤلاء ليأخذا ديتي منهم.

فأخذ موسى عليه السلام الرجلين فقتلهما، وكان قبل أن يقوم الميت ضرب بقطعة من البقرة فلم يحي، فقالوا: يا نبي الله أين ما وعدتنا عن الله عزّ وجلّ؟

فقال موسى عليه السلام: قد صدقت، وذلك إلى الله عزّ وجلّ.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، إنّي لا أُخلف وعدي، ولكن ليقدموا للفتى ثمن بقرته ملء مسكها دنانير ثم أحيي هذا.

فجمعوا أموالهم، فوسّع الله جلد الثور حتّى وزن ما ملىء بـه جـلده فـبلغ خمسة آلاف ألف دينار.

فقال بعض بني إسرائيل لموسى عليه السلام ـ وذلك بـحضرة المـقتول المـنشور المضروب ببعض البقرة ـ: لا ندري أيّهما أعجب: إحياء الله هذا وإنطاقه بما نطق، أو اغناؤه لهذا الفتى بهذا المال العظيم!

فأوحى الله إليه: يا موسى، قل لبني إسرائيل: من أحبّ منكم أن أطيّب في الدنيا عيشه، وأعظّم في جنّاتي محلّه، وأجعل لمحمّد وآله الطيّبين فيها منادمته، فليفعل كما فعل هذا الفتى، إنّه كان قد سمع مـن مـوسى بـن عـمران عليه السلام ذكـر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وآلهما الطيّبين، فكان عليهم مصلّياً، ولهم على جميع الخلائق من الجن والانس والملائكة مفضّلاً، فلذلك صرفت إليه هذا المال العظيم ليـتنعّم بالطيّبات ويتكرم بالهبات والصلاة، ويتحبّب بمعروفه إلى ذوي المودات، ويكبت بنفقاته ذوي العداوات.

قال الفتى: يا نبيّ الله، كيف أحفظ هذه الأموال؟ أم كيف أحذر من عداوة من يعاديني فيها، وحسد من يحسدني لأجلها؟ قال: قل عليها من الصلاة على محمّد

وآله الطيّبين ما كنت تقوله قبل أن تنالها، فإنّ الذي رزقكها بذلك القول مع صحة الاعتقاد يحفظها عليك أيضاً بهذا القول مع صحة الاعتقاد.

فقالها الفتى فما رامها حاسد له ليفسدها، أو لصّ ليسرقها، أو غاصب ليغصبها، إلّا دفعه الله عزّ وجلّ عنها بلطف من ألطافه حتّى يمتنع من ظلمه اختياراً أو منعه منه بآفة أو داهية حتّى يكفّه عنه، فيكفّ اضطراراً.

قال عليه السلام: فلمّا قال موسى عليه السلام للفتى ذلك وصار الله عزّ وجل له ـ لمقاتلته ـ حافظاً، قال هذا المنشور: اللّهم إنّي أسألك بما سألك به هذا الفتى من الصلاة على محمّد وآله الطيّبين والتوسل بهم أن تبقيني في الدنيا متمتّعاً بابنة عمّي وتجزي عنّي أعدائي وحسّادي، وترزقني فيها خيراً كثيراً طيباً.

فأوحى الله إليه: يا موسى، إنّه كان لهذا الفتى المنشور بعد القتل ستون سنة، وقد وهبت له بمسألته وتوسلّه بمحمّد وآله الطّيبين سبعين سنة تمام مائة وثلاثين سنة صحيحة حواسّه، ثابت فيها جنانه، قويّة فيها شهواته، يتمتع بحلال هذه الدنيا ويعيش ولا يفارقها ولا تفارقه، فإذا حان حينه حان حينها، وماتا جميعاً معاً فصارا إلى جناني، وكانا زوجين فيها ناعمين.

ولو سألني ـ يا موسى ـ هذا الشقي القاتل بمثل ما توسّل به هذا الفتى على صحّة اعتقاده أن أعصمه من الحسد، وأقنعه بما رزقته ـ وذلك هو الملك العظيم ـ لفعلت.

ولو سألني بذلك مع التوبة من صنعه أن لا أفضحه لما فضحته، ولصرفت هؤلاء عن اقتراح إبانة القاتل، ولأغنيت هذا الفتى من غير هذا الوجه بقدر هذا المال أوجده.

ولو سألني بعد ما افتضح، وتاب إليّ، وتوسّل بمثل وسيلة هذا الفتى أن أنسي الناس فعله ـ بعد ما ألطف لأوليائه فيعفونه عن القصاص ـ لفعلت، فكان لا

يعيّره بفعله أحد، ولا يذكره فيهم ذاكر، ولكن ذلك فضل أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم، وأعدل بالمنع على من أشاء، وأنا العزيز الحكيم.

فلمّا ذبحوها قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] فأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة، ولكن اللجاج حملهم على ذلك واتهامهم لموسى عليه السلام حداهم عليه.

وهناك سرّ آخر، وهو أن اليهود ضجوّا إلى موسى عليه السلام وقالوا: افتقرت القبيلة ودفعت إلى التكفّف، وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فادع الله لنا بسعة الرزق.

فقال موسى: ويحكم ما أعمى قلوبكم! أما سمعتم دعاء الفتى صاحب البقرة وما أورثه الله تعالى من الغنى؟ أو ما سمعتم دعاء الفتى المقتول المنشور، وما أثمر له من العمر الطويل والسعادة والتنعم والتمتع بحواسه وسائر بدنه وعقله؟ لِمَ لا تدعون الله تعالى بمثل دعائهما، وتتوسّلون إلى الله بمثل توسّلهما ليسد فاقتكم، ويجبر كسركم، ويسدّ خلّتكم؟

فقالوا: اللّهم إليك التجأنا، وعلى فضلك اعتمدنا، فأزل فقرنا وسدّ خلّتنا بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطّيبين من آلهم.

فأوحى الله إليه: يا موسى قل لهم: ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان، ويكشفوا في موضع كذا ـ لموضع عيّنه ـ وجه أرضها قليلاً، ثم يستخرجوا ما هناك، فإنّه عشرة آلاف ألف دينار، ليردّوا على كلّ من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع، لتعود أحوالهم إلى ما كانت عليه، ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كلّ واحد منهم في هذه المحنة لتتضاعف أموالهم جزاءً على توسّلهم بمحمّد وآله الطيّبين، واعتقادهم لتفضيلهم[2].

---

(١) البقرة: ٢/٧١.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٢٨١.

إذا كان لعصا موسى عليه السلام أن كانت تفلق الصخر وتخرج العيون وتنقلب الحبال إلى أفاعي وما إلى ذلك من معجزات، وانفلقت الصخرة للنبي صالح عليه السلام وتمخّضت منها ناقة، فإذا كان للعصا هذا الأثر، وكان للصخرة هذا الأثر، وكان لذنب البقرة هذا الفعل، فكيف لذكر اسم محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ اسم محمّد وآل محمّد يتركّب من أسرار، كلّ هذه الأسرار في عوالم الملكوت وفي عوالم اللآهوت، وفي عوالم الناسوت، كلّها مُلّكت من الغنيّ المطلق إلى آل محمّد صلوات الله عليهم.

وهذا لا ينقص من خزائن الله شيئاً، فهو غنيّ بالذات غنيّ عن العالمين، وهل هذا كثير على الله أن يؤتي خزائنه إلى أفضل وأشرف الخلق محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم، فهذا الكون وما فيه لا شيء بالنسبة لغنى الله ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآن**﴾[1]، ﴿**لَقَد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ**﴾[2].

---

(١) النساء: ٤/٨٢.

(٢) آل عمران: ٣/١٨١.

الدرس السادس عشر

يـــا آلَ بـــيتِ رســـولِ الله حُـــبّكمُ فَـــرضٌ مِـنَ اللهِ فـي القـرآنِ أنـزلهُ
يَكـــفيكُمُ مِـنْ عـظيمِ الفـخرِ أنّكُـمُ مَـنْ لم يـصلّ عـليكم لا صـلاة لهُ[1]

أبيات للشافعي نقلها صاحب الصواعق المحرقة، وهناك مجموعة من أكابر علماء أهل السنة يروونها عن الشافعي صاحب المذهب المعروف بالشافعي، أنشد هذين البيتين وهما شهادة صريحة فيما يتعلق بأمر الصلوات عـلى مـحمّد وآل محمّد.

من أسرار ليلة الجمعة ويوم الجمعة، لعشّاق الصلوات.

من وردهم وذكرهم وعبادتهم ووترهم وقيامهم ونوافـلهم ونـوادبـهم أو مندوباتهم حيث يقولون: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد.

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «إذا كانت عشية الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصـحف الفـضة، لا يكـتبون عشـية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أنّ تغيب الشمس إلّا الصلاة على النـبيّ وآله صلى الله عليه وآله وسلم»[2] يريد أن يبين أنّ الصلوات جواهر تكتب بأقلام من ذهب عـلى صحف من فضة.

---

(١) ديوان الشافعي: ١١٥.

(٢) الخصال: ٩٥/٣٩٣، عنه بحار الأنوار: ١١/٥/٩٤.

إذاً هذا سرّ صلواتي في ليلة الجمعة، إنّ الإنسان يكون مكتوباً بقلم من ذهب، إنها أقلام ملكوتية، فهنيئاً لمن يكتب بهذا القلم المذهّب على الصحف المفضّضة.

سرّ آخر في مواجهة الأعداء، فمعروف أنّ الانسانية تستخدم وسائل مختلفة وتقنيات لغرض الدفاع ضد العدوّ، وهناك وسائل غيبية وهي الملائكة المسومون وظيفتها الدفاع، تهبط حسب الطلب وشدّة المعركة، هذا النوع من المواجهة كيف يدفع هذا العدوّ المعتدي الظالم؟ يقول القرآن: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي البَأسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ**﴾[1] في معنى البأساء يعني محاربة الأعداء كما في النصّ عن المعصوم، أي الشيطان ومردته التي تمثل القوى العظمى إنما تدفع بذكر محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بالنسبة للصبر فكيف يحصل؟ من أهم علامات الصابر وكونه صابراً الصلوات على محمّد وآل محمّد ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمَةٌ**﴾ ثم يقول ﴿**وَحِينَ البَأس**﴾ يعني أعلى شدة، وشدة البأس تدفع بذكر الصلوات على محمّد وآل محمّد.

جاء رجل موصليّ، وكان من السادات، فدخل على العلامة الحلّي، واعترض عليه قائلاً: ما الدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الأنبياء، فقرأ العلامة في جوابه بلا انقطاع الكلام ﴿**الَّذِينَ إِذا أَصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ**﴾[2].

فقال الموصلي على طريق المكابرة: ما المصيبة التي أصاب آله حتّى أنّهم

---

(١) البقرة: ٢/١٧٧.

(٢) البقرة: ٢/١٥٦ ـ ١٥٧.

يستوجبون لها الصلاة؟

فقال العلامة ﷺ: من أشنع المصائب وأشدها أنّ حصل من ذراريهم مثلك الذي يرجّح المنافقين الجهال المستوجبين اللعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال. فاستضحك الحاضرون، وتعجبّوا من بداهة جواب آية الله في العالمين، وقد أنشد بعض الشعراء:

إذا العلوّي تابع ناصبيّاً ... بمذهبه فما هو من أبيه

وكان الكلب خيراً منه حقّاً ... لأنّ الكلب طبع أبيه فيه[1]

إسم محمّد هو إسم مبارك ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾[2] كيف بمن انتجب الإسم لذات النبيّ، وهنا يكون العارف بهذا السرّ في أعلى درجات المعرفة، يجب أن نكون عارفين بأهمية هذا السرّ الصلواتي، إن الإنسان يواجه الملمات والأسقام والأمراض نتيجة الغفلة عن ذكرهم.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب وحبّنا رضى الربّ تبارك وتعالى»[3] هذا الإسم الملكوتي نزل من الملكوت الأعلى إلى الأرضين ومن السماوات ومن العرش الأعلى، ليكون علماً على ذات هذا النبيّ، فسمّاه الله تعالى في سمائه بأحمد، وفي الأرضين بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، إذاً المواجهة تدفع بالصلوات.

سر آخر: إنّ هذه الصلاة يستعان بها على طول العمر وخرق الحجب، فمن قرأ بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة مائة مرة الذكر الصلواتي فإنها تدفع لفح جهنم.

وهذا سر آخر: الذكر الصلواتي يخرق الحجب ويرفع الظلمة عن النفس.

---

(١) روضات الجنات: ٢/٢٨٤.

(٢) الرحمن: ٥٥/٧٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢/١٤٥/١٠.

الدرس السابع عشر

من الأبحاث الإعتقادية التي شغلت مساحة واسعة في مجال الأخبار والآثار والشواهد والوقائع بحث علم الغيب، ألفت النظر أولاً إلى مشروعية هذه الأبحاث وأهميتها في وقتنا الحالي من جهات عديدة، يتساءل البعض: ما هي الضرورة التي تستدعي طرح هذه الأبحاث؟

ربما يقال بأنّ هذه الموضوعات قد تكون ثقيلة على قلوب كافّة النّاس ولا تطاق، كما يبرر أصحاب المنهج المعاصر في مثل هذا الوقت، بأنّ هذه الأبحاث قد تجرنا إلى مآزق، ولربما توجب لنا نوعاً من التحيّر والتردد، هذه المقالة سوف نثبت بطلانها، والعكس هو صحيح، ولن يصح إلّا الحقّ.

فمن أهمّ الجهات التي تستدعي هذا البحث هو ترسيخ الإعتقاد، يعني عندما يكون عندك اطلاع أنّ لنبيّك مقاماً عالياً سامياً لا يرقى إليه لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، فهذا يشكّل في جوانحك وفي متن قلبك أثراً مهماً بليغاً، فإذا زرته في مقامه سوف تنعكس عندك حالة من الروحانية والنورانية في زيارتك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي انطوت تحت كفّيه الأفلاك والأملاك، يعني تزوره وأنت تعتقد بهذا المعنى حينئذٍ يختلف التعامل، ومرة تزوره وأنت تراه ليس إلّا بشراً فقط، ونحن نعتقد بهذا المعنى، البشرية مسلّمة، ولكن أيّ بشر هو، وأي نوع من البشر هو؟ وهذا الذي لا يرى له مقاماً سوى مقام التبليغ، مثلاً يقول بأننا نفهم من رسول

الله ﷺ ﴿هَل كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾[١]، يتشدّق بهذا النص القرآني ويترك النصوص الأخرى تحريفاً للمعنى لأنّه الذي يتمسك بآية، ولم يتعمق في مجموع القرآن، سوف يقع في غائلة، وبالتالي ربما ينحرف فكرياً.

إذاً لابد من جولة كاملة واطلاع تام بكل الآيات ذات الصلة بالموضوع حتّى يكون الإنسان موضوعياً وليس متعسفاً في إصدار أحكامه.

إذاً من هنا ينبغي أن نتعرف على أن بحث هذه الموضوعات يساعد على ترسيخ الاعتقاد، لأنك كما أشرت إذا زرت النبيّ ﷺ وتراه إلّا بشراً رسولاً أدى ما عليه ومات وانتهى، فهذه نكبة في تاريخ المسلمين.

إنّ التعامل بهذا الشكل مع الرسول ﷺ، جناية على التاريخ الإسلامي، وتراجع يسجلّه المسلمون، وسوف يؤاخذ الكل إن لم يقوموا بوظيفتهم تجاه هذا الأمر، ومن هذا التعسف والطوق الذي حوصر به رسول الله ﷺ وهو في قبره، وهو بلا إشكال أعلى قمة في مجال هذا الوجود، وإن كان يتراءى لنا أنه في الثرى، ولكن أيّ ثرى ضمّ جسد المصطفى، الآن كيف يتعامل مع المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله؟

حصار وتضييق ومحاسبة ومراقبة لكل من يقول: يا رسول الله، فيتحمل حينئذ التهم، والشتائم والإيلام، بسبب جحد ما له من مراتب وقصور الفهم والاعتقاد، ولهذا فإنّ ترسيخ الإعتقاد مهمّ.

المهمّ أن نعرف النبيّ، ومقامات ومراتب النبيّ قبل أن نعرف أي صفة أُخرى، فالنبيّ سيّد فوق السادة في الأخلاق، فهو نبي الأخلاق، لكن تبقى الصفة الأخلاقية شأن من شئونات النبيّ، وينبغي أن نتعرف على أركان شخصية النبيّ.

الأساس الأول أن نعرف من هو محمّد بن عبدالله ﷺ، وما لم تستحكم

---

(١) الإسراء: ١٧/٩٣.

المعرفة في معرفة النبيّ في جوانحك وجوارحك لايستحكم شيء آخر في نفسك، وكلها تصبح فروع، ولهذا بيّن القرآن شخصية النبيّ في أكثر من موضع وفي أكثر من آية.

المهمّ في بحثنا هو أن نتعرف على مفهوم عالم الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرتَضَىٰ مِن رَسُولٍ﴾[١] إذاً علم الغيب انفتح بنص القرآن الكريم، فلا نتمسك بالآية التي تثبت بأن النبيّ لا يعلم الغيب إلّا الله فنقول حينئذٍ: إنّ النبيّ لا يعلم شيئاً، هذا غير صحيح.

نجد في القرآن أنّ الإماتة مرة تنسب إليه ﴿اللهُ يَتَوَفَّىٰ الأَنفُسَ﴾[٢] وفي مقام آخر تنسب إلى الملك يقول تعالى: ﴿قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوتِ﴾[٣] وذلك يعني، بأنّ هناك مجالاً لأن يعطي هذا المقام ـ مقام التوفّي والإحياء والإماتة ـ إلى أشرف المخلوقات، ولا يوجد هناك تناقض عقلي، ولا تنطبق السماء على الأرض، ولا يلزم اجتماع نقيضين وجود وعدم في آن واحد، هذه المحاذير العقلية ليس لها مكان هنا، المهم لا يكون هنا تناقض.

إذا كان الله تعالى يقول: أنا عالم الغيب، وأُعطيه لمن ارتضيته من رسول، إذاً انفتح لنا هذا الباب، ولو أنّ هذه الآية تقول علم الغيب على الإطلاق لله وحده، فلا يشرك علمه بالغيب أحداً، لكن لما قال: ﴿مَنِ ٱرتَضَىٰ﴾ فإنّه فتح الباب، وإن الغيب حينئذٍ يكشف وإن كان مستوراً على الخلق ﴿إِلَّا مَنِ ٱرتَضَىٰ﴾ له ﴿مِن رَسُولٍ﴾ يكون له مكشوفاً.

إذاً انفتحت لنا هذه الصفة، وجعلنا على وثوق من أنّ علم الغيب بالنسبة

---

(١) الجن: ٢٦/٧٢ و٢٧.

(٢) الزمر: ٤٢/٣٩.

(٣) السجدة: ١١/٣٢.

للنبيّ لا ينافي ربوبية الله ولا ينافي ألوهيته، ولا يتناقض مع توحيده، بل عين التوحيد أن آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين.

صفة علم الغيب إنما كانت متجذرة ومتجوهرة بجوهر محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي ليست قضية عرضية، وليست عطاءً آنياً يعطىٰ ويسلب، وإنما متجذر معه وحاضر في كل آن للجواب، وهذا ما نعبر عنه بالإحاطة العلمية لجميع علوم التكوين والتشريع بنحو الحضور، كما يحضر بين يديك الدرهم لكلّ ما يحمله من تفاصيل نقشه وكتابته، فهذا الوجود إن لم يكن حاضراً لوليّ الله الأعظم ونبيّ الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كهذا الحضور، لا يستطيع أن يقاوم شرق وغرب الدنيا حيث كانت تتوافد عليه الوفود من المشرق والمغرب، ومن الصين، ومن بلاد الروم، يوجّهون إليه أسئلة مختلفة، فلو كان يجهل الإحاطة بالأمور، سيصبح مورد نقد الناس، وبالتالي زعزعة الثقة فيه كرسول من قبل الله يمثل رسالة الله في أرضه، فلا بد أن أن يكون محيطاً إحاطة فعلية حضورية شاملة جامعة لجميع علوم ما في السماوات وعلوم ما في الأرضين.

كنز العمال ينقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أُسأل عن شيء دون العرش إلا أخبرت عنه»[1].

هذه الإحاطة بالكون، فلو لم تكن عنده إحاطة ما سألهم ويقول لهم: سلوني، لماذا يقول: دون العرش؟

يعني أنّ كلّ شيء عندنا به إحاطة، هذا الكلام يرويه المتقي علاء الدين الهندي، وهو من أعاظم علماء العامة.

لقد آتاهم الله علم ما كان وما يكون، وهذا لا يتنافى مع عظمته، بل العكس فالله غنيّ عن كل شيء لا ينقصه شيء إذا أعطىٰ، لا ينقص ذلك شيئاً من خزائن

---

(١) كنز العمال: ١٣/١٦٥/٣٦٥٠٢.

رحمته؟ ولا ينقص شيئاً من كمال قدرته؟ الله تبارك وتعالى لا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً.

إذاً إطلاع النبيّ على الغيب، فتح باباً هامّاً في العقائد، لأن هذه الأبحاث هي الأكسير الذي به ترتفع الأُمة، وتصعد وتعرج بروحها، لابد من معرفة مقامات الرسول صلوات الله عليه وعلى آله في بداية نشأته، وفي إنتهاء حياته الظاهرية، ماذا توجد من أسرار، ينبغي أن نتأمل وأن تتفتح الأذهان على هذه الحقائق، إذاً علم الغيب لا يتنافى لا عقلاً ولا نقلاً مع قدرة الله عزّ وجلّ.

لم يدّع أحد بأن النبيّ وآله أُوتوا ذلك من ذواتهم، وإنما هو عطاء غير ممنون، عطاء غير مجذوذ، عطاء غير محدود من قبل الله تعالى، فعندما يفتح باب الغيب ويقول: أنا أفتح علم الغيب لمن ارتضيت، فما المحذور من ذلك؟ وقد ارتضى الله تعالى النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته الهداة الميامين من بين خلقه «وارتضاكم لغيبه»[1] كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة المجهولة القدر.

فلو ينفتح الإنسان على هذا الميراث الذي يعدّ أضخم ميراث وكنوز آل البيت صلوات الله عليهم لأدرك حقائق كثيرة، فكيف يحكم على تراث ضخم قام به أعمدة الدين وأركان المؤمنين، أتوا به وشيدوه، بالبطلان والغلوّ!!

إذاً أهم جهة لمعرفة هذه الأبحاث هي ترسيخ العقيدة، فهناك من يزور الرسول ويقف بين يديه، وينظر إليه بأنه هو الذي انطوت في مكنون ذاته وحقيقته وجوهره عوالم الغيوب وعوالم الشهود حتّى أصبح كل شيء من الذرة إلى المجرة خاضعاً شخص صاحب هذا القبر محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وهذه هي الحقيقة.

هناك نص في الكافي لثقة الإسلام عن محمّد بن يحيى، أخرجه العلامة المجلسي يقول: سمعت الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام وعنده أناس من أصحابه يقول:

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٧١، فرائد السمطين: ٢/ ١٨٠.

«عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا.

أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات، والأرض؟» ثم يقول الإمام: «ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم»[1].

ولهذا إن لم تستحكم المعرفة في الأصول لا تستحكم في الفروع، وهذا المطلب يعدّ من أهم المطالب حتّى ترسخ العقيدة في جوانحك، فإذا وقفت بين يدي وليّ الله تقول له: سلمت أمري إليك.

هلال بن نافع يقول: عندما أراد الإمام الحسين أن يستخبر نيات أصحابه، قال له هلال: سر بنا راشداً معافاً إن شئت مشرقاً أو مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عادك، هذه هي نتيجة العقيدة المحكمة.

وفي معركة بدر الكبرى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشيروا عليّ أيها الناس. فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم نخرج على أهبة الحرب، وهذا يعني أنه رأى من الصالح أن ينسحبوا إلى المدينة ولا يواجهوا قريشاً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إجلس.

ثمّ قام عمر بن الخطاب، وكرر نفس مقالة أبي بكر، فأمره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالجلوس أيضاً.

ثمّ قام المقداد بن الأسود وقال: يا رسول الله، إمضِ لما أراك الله فنحن

---

(١) الكافي: ١/٢٦١/٤، بحار الأنوار: ٢٦/١٤٩/٣٥، عن الخرائج والجرائح.

معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا إناهاهنا قاعدون. ولكن إذهب أنت وربك فقاتِلا، وإنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد ـ موضع بناحية اليمن ـ لجالدنا معك من دونه حتّى تبلغه، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا ـ أي النار المتقدة ـ وشوك الهراس ـ وهو شجر كبير الشوك ـ لخضناه معك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً، ودعا له به[1].

هذا تسليم مطلق نتيجة للعقيدة المستحكمة، فإذا علمنا أنّ العالم كلّه انطوى في شخص وليّ الله، في شخص نبيّ الله، فالنتيجة تكون التسليم المطلق.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ١٤٠، سيّد المرسلين: ٢/ ٦٠.

الدرس الثامن عشر

مُـــطَهَّرون نـــقيّاتٌ ثـــيابُهُم ... تُـتلىٰ الصـلاةُ عـليهم أيـنما ذُكـروا
مَـــن لم يكـن عَـلَويّاً حـين تَـنْسِبُه ... فـــما لَـه فـي قـديم الدهـرِ مُـفتَخَرُ
واللهُ لمّـــا بَـــرى خَـــلقا فأتـــقنهُ ... صـــفّاكُـمُ واصـطفاكُـم أيُّـها البشـرُ
فأنـــتمُ المـــلأُ الأعـــلى وعـــندكمُ ... عِلمُ الكتاب وما جاءتْ به السّـوَرُ[1]

هذه أبيات رائعة لأبي نؤاس يقول عندما خرج الإمام الرضا عليه السلام من عند المأمون: توجّهت إليه فقلت له السلام عليك يا ابن رسول الله، قال وعليك السلام، قلت له: عندي أبيات أُحبّ أن أنشدكها، فقال عليه السلام هاتها، يقول قرأتها له عليه السلام.

وقد ترتّب عليها أثر عظيم وفيها سرّ صلواتي.

عندما أتمّ انشاد هذه الأبيات التفت الإمام عليه السلام إلى غلامه، فقال له هل معك شيء من الدنانير والدراهم؟ أراد الإمام إكرامه بهذه الأبيات التي فيها معاني عالية مشتقة من كتاب الله العزيز، ومستنبطة من القرآن، ومن روايات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قال الغلام لم يكن معنا إلّا ثلاثمائة دينار.

قال الإمام عليه السلام لغلامه أكرمه بها، فأحضرها وأعطها له، أخذها الرجل وانصرف قال الإمام عليه السلام لعلّه استقلها، فسق إليه هذه البغلة فإنه جاء بأبيات ما

---

(١) انظر كتابنا/ كرامات الأبرار: ١٠٠، نقلناه عن عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٤٣.

سبق أحد إليها، وفيها ما يتعلق بالأسرار. (مطهرون نقيات ثيابُهمُ) إشارة إلى أنه حتّى الثوب الذي هو على أبدانهم متّصف بالنقارة والطهارة.

تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا سواء كانوا في الملأ الأعلى في العرش وما حوى وما تحت الثرى وما إلى ذلك من خلق ما يرى ومالا يرى، الصلاة على محمّد وآل محمّد كلّ بلغته كلّ بلسانه إذا ذكر النبيّ محمّد وآل محمّد، كم عالم موجود الآن في هذا الوجود؟ وكم آدم وكم لغة؟

في الروايات الواردة عنهم صلوات الله عليهم: «هناك ألف ألف عالم، وألف ألف آدم»[١]، هذه الأرقام عالية من الخلق مما يختلف لوناً ولساناً ولغةً، كلّ هذه العوالم وكل هذه الأوادم وكلّ هذه اللغات كلها تجري الصلوات كلّ بحسبه في السماوات والأرضين، هذه الأسرار الهامة نستلهمها ببركة الصلوات على محمّد وآل محمّد.

هناك بحث هامّ ينبغي الإلتفات إليه، طرحه أحد العلماء الكبار، وهذا البحث لصاحب كتاب القطرة وهو كتاب فريد ألفّ في بحار مناقب العترة، المؤلّف من العلماء الكبار[٢] يتعرض إلى هذا البحث الهامّ ويعقد فصلاً كاملاً في فضل الصلاة على النبيّ وآله، يختار غرر الأخبار ثمّ ينتهي إلى آخر المطاف في هذا البحث ويطرح هذه الكلمة التي أبدى فيها نظره وإنّني أناقش هذا السيّد العلم فيما

---

(١) روى الشيخ الصدوق: بسنده عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الأَوَّلِ بِل هُم فِي لَبسٍ مِن خَلقٍ جَدِيدٍ﴾ سورة ق: ١٥/٥٠، فقال: يا جابر... لعلك ترى أنّ الله عزّ وجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد أو ترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله، لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميّين» التوحيد: ٢٠٠، والخصال: ١٨٠، عنهما بحار الأنوار: ٥٤/٣٢١/٣.

(٢) سماحة آية الله المرحوم السيّد المستنبط رضوان الله عليه.

أبدى من وجهة نظر فيها نظر، الكلمة هكذا يقول في الكتاب ما نصّه: أنّ الصلاة عليه وعلى آله هل تزيد في مراتبهم أم لا؟

يجيب قائلاً: ذهبت طائفة إلى الثاني يعني لا تزيد في مراتبهم شيء يعني نحن لما نصلّي على محمّد وآله لا يزدادون فيما يتعلق بالمراتب شيئاً، هذه طائفة من طائفتين، يعني نظراً من نظرين زعماً منهم أنّ الله تعالى أعطى نبيّه وأهل بيته أكمل المنازل اللائقة بنوع الإنسان فلا زيادة حينئذ، أصحاب هذه الإتجاه يقولون: لا يزدادون مرتبة لأنّهم في كمال المرتبة فحينئذ لا يكون هناك عود ونفع في الصلاة عليهم لهم، نعم يقول إذا لا توجد هناك فائدة لهم، فما هي النتيجة؟

يقول الفائدة تعود للمصلين عليهم فيزداد المصلّي أجراً وثواباً ورقياً ومرتبةً، فالمرتبة ليست لهم عليهم السلام وإنما المرتبة للمصلّين عليهم، يقول هذه طائفة ذهبت إلى هذا الرأي، ثمّ يقول والدليل على هذا الرأي قول الإمام في الزيارة الجامعة الكبيرة، «**وجعل صلواتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم، طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا**»[1]، يعني كلّ شيء يعود لنا، ثمّ يقول ـ هنا تبدأ المناقشة ـ ولكن الأقوى عندي هو الأول أي أنّهم يزدادون مراتب على من يصلّي عليهم ببركة الصلاة عليهم، لماذا؟

يقول لأنّه كان يلتمس من صلحاء أُمّته الدعاء له، ويقول إنّ ربّي وعدني مرتبة الشفاعة والوسيلة ولا تنال إلّا بالدعاء، ثمّ يقول ومراتب الحق ومراتب الفيض لاحدّ لها فيكون حينئذ الفائدة هي عبارة عن ازدياد مراتبهم وعلوّ منازلهم، هذه النظرية يطرحها ويقول الأقوى عندي أنّهم يزدادون انتهى كلامه[2].

والسؤال الذي يطرح هنا ما هو الحقّ من بين هاتين النظرتين؟

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٧٢، وفرائد السمطين: ٢/١٨٢.

(٢) القطرة: ج١/ باب فضل الصلاة على النبيّ وآله.

المتيقن الذي لا ريب فيه ولا وهمٌ ولا ذرة من التوهم بأنّ الصلاة كلّ الصلاة إنما هي ازدياد مراتب المصلّين ولا يكون لهم صلوات الله عليهم بذلك أيّ شيء لغناهم عن كلّ شيء، أنقل لكم كلمة للرد على هذا السيّد الجليل قدس سره، أردّ عليه بكلمات متعددة:

أولاً كلمة الخليل الفراهيدي يقول: بأنّ علامة كونه إماماً، أوّلاً استغناؤه عن الكلّ[١]، وهذا مسلّم لا نقاش فيه، فهل هناك إمام احتاج إلى أحد، حيث أنّه لا يوجد دليل ولا نص حتّى ولو كان ضعيفاً أنّهم احتاجوا ـ احتياج الناس إلى الناس ـ وإذا كانت هناك حوادث تشير إلى رجوع المعصومين إلى الناس هذا لقضايا واعتبارات ثانوية، وهذا الرجل متوجّه تماماً وملتفت بدليل ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾[٢]، يعني محال أن يكون الرسول الذي هو المناط وهو الملاك الذي يرجع إليه في كلّ شيء، يرجع للآخرين هذا يصبح بالعكس، ما آتاه الناس إلى الرسول فخذوه. ما آتاهم لا يمكن أن يكون ما آتاكم؟

إذا كان كل شيء عند النبيّ ولذلك ترجعون إلى للأخذ منه، فإذا نقص (ما) يكون بعض ما آتاكم ويصير كما في قضية الأنبياء عندما يعرّف عنهم يقول إنّه شيء من الألواح، بعض من الألواح، أو علم من الكتاب، كلّه تبعيض، ولكن عندما يأتي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوجد هنا إطلاق «ما» أي كل شيء آتاكم معنى ذلك أنّه كلّ شيء عنده، لأنّه لو لم يكن عنده كل شيء لا معنى حينئذ لقوله «ما آتاكم فخذوه».

فاستغناؤه عن الكلّ ـ هذا من طرفه ـ وافتقار الكلّ إليه، كلّ شيء محتاج إليهم حتّى الأرض في حركتها ودورانها بل الشموس والأقمار، لأنّه لو لم يكونوا، لما دارت ولما استقرت، فهم المحور في كل حركة ودوران.

فإذا كان كلّ شيء بذاته مفتقراً إليهم وهذا المعنى برهانيّ، وذلك لأنّهم

---

(١) القول السديد في شرح التجريد: ٣٥١.

(٢) الحشر: ٥٩/٧.

استغنوا بالله فأصبحوا مظاهر صفاته وألسنة وحيه وتراجمة كلماته وبعبارة بيّنة هم المظهر للكمال، هم المظهر للجلال، وهم المظهر للجمال.

وكذلك إذا كانوا مظهراً للجمال والكمال والجلال فهل يحتاجون لشيء، فهم بكمال الله المطلق تكاملوا وبغناه المطلق استغنوا، ولذا يكون كلّ شيء مفتقراً إليهم، يقول الفراهيدي، هذا دليل على أنّه إمام الكلّ، الافتقار من الغير حتّى في الصلوات والاستغناء حتّى في الدرجات المترتبة على تلك الصلوات.

إذن لا نقص في كمالهم حتّى يتكاملوا، ولا نقص في مراتبهم حتّى تزداد مراتبهم إنّ هذا ما يعبّر عنهم القرآن الكريم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1] هذا الأمر حيّر الكمّل من الخلائق من أولي العزم، والأولياء احتاروا في أن يفقهوا بعض تلك الدرجات، ما استطاعوا، فصعق من صق، ووقع في بطن الحوت من وقع، وأُدلي من أُدلي في النار، ونشّر بالمناشير من نشر، وهكذا كلّهم كانوا يسألون الله تعالى المعرفة الحقّة للكمال والجمال والجلال المظهر له محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فهل مثل هؤلاء يفتقرون لصلواتي؟

فهل إذا أنا صلّيت عليهم يرتفعون درجات؟

هم الواسطة في الفيض، لا أنّهم محتاجون للفيض.

وبكلمة مقتضبة: مرة نحن ننظر للنبيّ على أنّه عنصر يتكامل بالأخبار، يعني النبيّ لا شيء عنده كما طرح أخيراً، فإذا أُخبر علم، وإذا لم يخبر فلا علم غيبيّ حاضر عنده.

نحن ولله الحمد عقائدنا مستمدّة من القرآن والأخبار وعلى ضوء ما ورد نحن نكون موضوعيين، نحن أتباع القرآن وأتباع آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما ورد عنهم

---

(١) النجم: ٥٣/٨ و٩.

نتعبّد به فقط وما لم يرد عنهم فلا.

الله سبحانه وتعالى أعطانا قدرة عقلية يعني علينا أن نمحّص الكلمات قبل أن نحكم وقبل أن ننفي، نحتاج إلى دراسة لأنّ العقائد تخصّص فيراد حينئذ فيها سياحة فكرية واقعيّة.

المطروح بأن النبيّ إذا أُخبر عرف وإذا أُعلم علم، وإلّا فلا.

معنى ذلك أنّ النبيّ إنما هو بالنتيجة ما عنده إلا ما يخبر به، الدليل ما هو؟

يستدلّ بعض المعاصرين بالآية ﴿**وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لاَستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ**﴾[1].

هناك آيات تبيّن قضايا بسيطة في المجتمع يعني مثلاً قضية زواج، أو طلاق حوادث كل حادثة لها خصائصها ولها ظروفها، ولها مناخها، يعني نحن لا يمكن أن نعمّم الحكم من قضية معينة دون الرجوع إلى القرآن الكريم، يعني من هذه الآية أحكم بعدم علم غيب النبيّ، هذا علمياً يسمّى تجاوز على العلم، لماذا؟

لأنّ العلم يقول أنّ الآية يجب أن تُضمّ لها كلّ الشواهد والقرائن الموجودة في كتاب الله العزيز.

أولاً: لماذا نزلت الآية؟

ثانياً: سبب النزول هل هو هذا، أم سبب آخر؟

ثالثاً: إنّ هذه الآية في مقام النفي المطلق، أو في مقام المداراة، لأنّ هناك مجموعة معينة لا تستحمل مثلاً هذه المقامات الغيبية.

رابعاً: القرآن الكريم هل يتوقّف على هذه الآية فحسب، أمّ أنّ هناك آيات آخرى؟ ماذا تبيّن الآيات الأُخرى؟

إذن لا بدّ من دراسة كاملة مستفيضة لآيات القرآن، فلا نكتفي بآية واحدة،

---

(١) الأعراف: ١٨٨/٧

فلا نطرح مثلاً ما يذكر في مجمع البيان أوما يذكره الرازيّ في سبب النزول لابد أن نتأمل، هل هذا يتنافى مع عقائدنا أم لا يتنافى؟ فهو ـ أي الفاضل المعاصر ـ يجعل النبيّ لا علم له بناقته أين ذهبت، ويقول: إنّ سبب نزول هذه الآية أنّ للنبيّ ناقة ولم يعلم أين ذهبت، فصار النبيّ ينادي أين صارت ناقتي؟

ويقول هو قبل قليل أخبرهم أنّ هناك مشركاً قد مات بالمدينة، وكان معه صلى الله عليه وآله وسلم جملة من المنافقين فقالوا عجبا قبل قليل أخبرتنا عن موت مشرك بالمدينة، ونحن في غزوة ونحن بعيدون عن المدينة بكذا فرسخ، والآن تبحث عن الناقة فتعجّبوا من هذا الأمر فنزلت الآية ﴿**وَلَو كُنتُ أَعلَمُ الغَيبَ لاَستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ**﴾.

كيف تعتمد على طرف من النقل، النقل كلّه مبنّي على أمرين:

الأمر الأول: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بالغيب وقبل نزول الآية أخبر عنه كما في النص المذكور قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مات فلان، هذا إخبار والآية لم تكن قد نزلت.

الامر الثاني: عندما كان يبحث عن ناقته قال أين صارت ناقتي، نزلت هذه الآية لمّا تعجب هؤلاء المنافقون وكانوا يقولون قبل قليل هو يخبر عن موت فلان والآن كيف لا يعلم أين صارت ناقته؟ أنت أعرف بأنّ سبب النزول يوحي بنوع من إخبار بالغيب ونفي الغيب.

إذاً لابدّ من دراسة حيثيتين وجهتين تدرس بشكل عميق وتربط بالروايات، ماذا نستفيد من الروايات؟

افتح كتاب الحجّة في الكافي الشريف، وتأمّل مقامات أهل البيت عليهم السلام، أود أن أنقل لهذا العالم المعاصر، أنقل له هذا النّص الصريح ومن حيث السند صحيح والنّص هكذا، يروي الكليني، عن أحمد الأشعري، عن أحمد البرقي، عن حمّاد بن خلف، عن أبان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام:

«الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»[١].

يعني هذا الذي له مقام التقدم على الخلق، وله مقام البقاء بعد فناء كلّ شيء، ومع الخلائق لا يفارقها لأنّها تهلك إن لم يكن، مع هذا النص هل يمكن تقييم هذا المقام العليّ؟

«قبل الخلق» إذا كان النظر إلى الجسمانية والبشرية، الجسم لا يرى ما وراء الجدار ولكن عندما تصل إلى مقامات الأنوار و مقامات المعارف، فإن ما وراء هذا الجدار، يكون مخصوصاً بهم عليهم السلام حتّى يتميّزوا عن النّاس وبالتالي ماذا نفهم من هذا النص الشريف؟ لتوضيح المراد نضرب أمثلة هامّة:

المثال الأول: إذا أحضرنا الملح، الملحية صفة ذاتية إلى الملح، فإذا رفعت عنه هذه الصفة الذاتية لا يبقى ملحاً وإنما يتحول إلى مادّة أخرى.

المثال الثاني: السكر صفته الذاتية الحلاوة، فإذا رفعت عنه هذه الصفة الذاتية لا يبقى سكراً وإنما يتحول إلى مادّة أُخرى.

المثال الثالث: المشمش يقول الشيخ الرئيس ابن سينا، جعل الله المشمش مشمشاً، يريد أن يقول إنّ ذاتي المشمش عبارة عن هذه المادة العسلية وهذه المادة الحلوة، بحيث إذا ارتفعت هذه المادة لا يبقى المشمش مشمشاً.

إذا كان الشيء ذاتياً له فإذا رفع ذلك الشيء الذاتي أصبح شيئاً آخر، نفس الأمر بالنسبة إلى المصطفىّ صلى الله عليه وآله ذاتيه العلم بالغيب لا شيء عرض عليه، شيء ذاتي، كيف نعرّف هذه الذات المحمديّة؟

نعرّفها بعلم الغيب، نعرّفها بالقدرة، نعرّفها بأنها خازنة لكلّ شيء، فإذا رفعت منه هذه الخصائص لم يصبح محمّداً صلى الله عليه وآله بل يصبح مثله مثل أي إنسان عادي.

إذن ما يميّز ذات النبيّ عن غيره هو عبارة عمّا يميز الملح بملوحته عن

---

(١) الكافي ١: ١٧٧/٤.

غيره، والسكر بحلاوته عن غيره فكذا المصطفى بعلمه الذاتي وإخباره بصفاته الذاتية وبقدرته الذاتية التي لو انفكت عنه هذه الصفات لم يعد محمّداً بل أصبح كأيّ إنسان عادي.

إذن هذه صفات ذاتية لازمة له لا تنفك عنه أبدا غاية الأمر: أنّه باعطاء الله تعالى له، لا أنه مستقلّ عنه جلّىٰ وعلا ومن هنا ندرك سرّ الصلوات عليهم في آناء الليل وأطراف النهار باعتبارهم ذوات كاملة لا تحتاج إلى رفع درجة وعلوّ مقام كيف لا؟ والقرآن الكريم يبيّن هذه الحقيقة بقوله تعالى ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدنَىٰ**﴾[1]، هذه من أسرار ذكر آل محمّد صلّى الله عليهم جميعاً ومعرفة بعض شؤناتهم ومراتبهم، ثبّتنا الله وايّاكم على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) النجم: ٥٣/٨ و٩.

الخاتمة في مظلومية مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها

في هذا البحث نتعرّض إلى مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وفيما وقع عليها من ظلم وتعسّف.

السؤال الذي يطرح هو لماذا هذا البحث دون غيره من الأبحاث؟

الجواب، هو أنّ هذا من الأبحاث التي لها أبعاد هامّة:

البعد الأول: الإعتقاد الراسخ بأنها ما ماتت إلا وهي مظلومة.

البعد الثاني: توثيق الصلة بالمظلوم، لأنّه لا يكون هناك مصداق في أرض الله من يوم خلق آدم وحتّى الختم لهذا الوجود، لا تجد مظلوماً كمولاتنا فاطمة عليها السلام، التي فارقت الدنيا وهي بنت ثمانية عشر سنة، فينبغي لجميع الأحرار والأبرار أن يتأملوا فيما وقع عليها ومازال الواقع ينبئ عن مظلوميتها، لمجهولية قبرها صلوات الله عليها، فالوافد على تلكم الديار يبحث عن الوديعة، أين قبر الوديعة؟ وديعة الله، وديعة رسول الله، وديعة أمير المؤمنين في هذه الأُمّة أين قبرها، هذه من الأبحاث التي لا بد من عرضها على الملأ، ينبغي أن نسجّل هذه المواقف في الدفاع عن مظلوميتهم إنطلاقاً من أمرين:

الامر الأول: قولها عليها السلام: «**يا معشر الفتية وأعضاد الملّة وأنصار الإسلام**

ما هذه الغميزةُ في حقّي والسّنةُ عن ظلامتي»[١].

الصدّيقة بأيّ شيء تطالبكم يا أبناء الشهادتين؟ تطالبكم أولاً حال كونها نادبة، وهذا النداء ليس مخصوصاً في ذلك العصر ولذلك الجيل وإنما هو خطاب لكلّ عصر ومصر وجيل ونسل، تقول بلسان فصيح وبيّن لماذا الطعن في حقوقي؟ لماذا التجاهل عن هذه الحقوق والسنة عن ظلامتي؟ لماذا أنتم نيام أو في أوّل حالات النوم؟ كمن يكون في حالة يشرف فيها على النوم العميق، تمثّل هذه الأُمة التي أعرضت عن فهم مظلوميتها وعن عرض حكايتها في الظلامة.

تخاطبهم أنتم نيام ولا تنتبهون عمّا وقع عليّ من ظلم «والسنة عن ظلامتي» إنطلاقاً من هذا الأمر نعرض ذلك بالبرهان والبيان.

الأمر الثاني: قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً»[٢]، فمن هو أشدّ مظلومية من مظلومية بضعة المصطفى، دلّوني على مظلوم في التاريخ رجلاً كان أو إمرأة كبيراً كان أو صغيراً من لدن افتتاح هذا الوجود بهم إلى ختمه بهم، إرشدوني على مظلوم له ظلامة كظلامة مولاتنا فاطمة الزهراء مجهولة القبر والقدر معاً، أخاطب جميع الأبرار الذين يفرقون بين الليل والنهار، أخاطبهم بلسان عربي مبين لابد من التوجه إلى هذه الحقائق عبر من سجّلها في التاريخ، وإذا كان الإستدلال على مظلوميتها من كتب علماء المسلمين وبالخصوص أهل السنة فحينئذ يكون الإستدلال قيّماً ويحظى بأهميّة لدى جميع أهل البراهين. لمّا تأتي بكتاب هامّ ككتاب العقد الفريد الذي ألف قبل عشرة قرون أي قبل ألف عام، ألّفه المؤرخ المعروف ابن عبدربه الأندلسي وهو من أعاظم النصاب والمخالفين لأهل البيت عليهم السلام ولكنه ما برح عن هذه الحقيقة وما فتأ عنها

---

(١) انظر كتابنا ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام: ٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٢/٢٤٥/٤٦.

دون تسجيلها وتدوينها، هذا الكتاب يعد حجّة على الخصم المخالف، والمؤالف بطريق أولى، لأنّ هناك نغمات ظهرت أخيراً في الأفق وبرزت في السحب والأجواء تشير إلى عدم وقوع مظلومية للزهراء، انطلاقاً من مبرّرات واهية وفاسدة لا يعوّل عليها ولا يستند إليها، لذلك ينبغي أن نُحكم الإستدلال فيما إذا أوردنا النص عمن هو مخالف وليس بمؤالف.

الاستدلال في خبر مفصل يذكره، بعد أن يبيّن أبو بكر لعبد الرحمن بن عوف ما عليه من شدة وألم ووجع وهو في حال مشرف على الموت هكذا يقول:

ألا وأنكم أول ضآلّ بالناس غدا فتصدوهم عن الطريق يميناً وشمالاً، إنما هو الفجر أو البحر (هنا يريد تمثيل التحير الذي وقعوا فيه) فقلت أي عبدالرحمن بن عوف: خفّض عليك فإنّ هذا يهيظك على ما بك، إلى أن يقول: مع أنك لا تأسى على شيء من الدنيا.

فقال أبو بكر: أجل إنّي لا أسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن... فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة وإن كانوا أغلقوه على الحرب[١].

أنا أسأل جميع ابناء اللغة ومن يفهم اللغة العربية، هذا التعبير أولاً من خليفة مشرف على الموت في حالة يتأسىٰ فيها على أهم الحوادث، عادة الزعماء والحكماء إذا تأسفوا لا يتأسفون على الأُمور البسيطة وإنما يتأسفون على الأُمور العظيمة التي انتابتهم طيلة حياتهم إلى قريب موتهم ولذا يعرب الخليفة بلسان واضح إني أتأسف وأحزن أشد الحزن على كشف بيت فاطمة وعبارة كشف في اللغة تعني رفع الشيء تماماً عمّا يواريه، فإذا رفع الستار يقولون كشف الستار وأبان ما خلفه.

---

(١) العقد الفريد: ٥/١٩.

والكشف عبارة عن الهتك لأنه عبارة عن إزالة الشيء الذي كان يستر ذلك الذي كان وراءه، إذن الكشف في اللغة هو الإبانة، الإيضاح، رفع الموانع، رفع العوارض، باب ترفع والستار يدفع وما إلى ذلك يسمّى «كشف» في اللغة، وهو ملتفت جيداً لمّا يعبّر «لم أكشف»، ما قال وددّت أنّي لم أَهمُّ، لأن البعض يقول: بأنّ القوم قد همّوا وإنما قال كشفت والتعبير دقيق للغاية يجب المحاكمة لكل كلمة في التاريخ فهو يقول وددت أني لم أكشف وليس وددت أني لم أَهمّ بالكشف، فالبعض يدعى ممن ليس له مسكة، ولا مسحة نورانية بالحوادث التاريخية وبمقامات أهل البيت عليهم السلام وما إلى ذلك من شئونات، يدّعي بأنّ القوم قد همّوا، والهمّ غير الفعل، القضية عبرت وتجاوزت هذا الأمر من الهمّ إلى الكشف الواقعي وهذا ما عليه العرف الجنائي في القضايا الجنائية، عندما تذهب إلى مقام من المقامات وتسأله عن كشف الجرائم ماذا يعني؟ يعني ترفع الستارة تماماً عن كل ما يغطيه ويدخل عمق الدار، فيقولون كشفنا بيت فلان يعني دخلنا فيه ووردنا فيه ونزلنا وبحثنا في زواياه، فوجدنا أو لم نجد، هذا التعبير دقيق إنّما يبيّن لك وهو في تلك الحالة وهو زعيم آنذاك ومترأس وحاكم وإذا به يعترف بعظمة لسانه بأني وددت لم أكشف بيت فاطمة وإن كان أغلق على الحرب ممّا يعني بأنّ هناك كشفاً حقيقياً لهذا الحجاب الإلهي قد حصل.

وممّا يدلّ على ذلك في صفحة أُخرى من المجلد الرابع من هذا الكتاب تحت عنوان ممّن تخلفوا عن بيعة أبي بكر، يقول: هم عليّ والعبّاس والزبير وسعد ابن عبادة، فأمّا عليّ والعباس والزبير قعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة، فقالت: جئت لتحرق

دارنا، قال: نعم[١].

أيّ دار هي أليست هي دار المصطفى؟ أليست هي دار الوحي؟ أليس فيها بضعة وقطعة من رسول الله، قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمة، أدّىٰ هذا الأمر أن رفضت فاطمة فتح الباب فكانت النتيجة أن ترضّ فاطمة بعد أن رمح برجله الباب فأضغطت بالباب وكانت خلفه حتّى وقع ما وقع.

أليست هذه حجّة الحجج؟ أليست هذه ولية الله، وللأسف الشديد أصبحت بعض المجالس خالية من ذكر فاطمة عليها السلام لأن موجة التشكيك استهدفت الواقع الولائي لها عليها السلام.

كان أمير المؤمنين جالساً والحسن والحسين يسمعون سبّ فاطمة أليست هذه مظلومية؟ أنقل عن عالم من علماء إيران[٢] سمعت عنه بالواسطة عن بعض الأفاضل نقلوا هذا المعنى، عندما رمح الباب برجله، وضغطت فاطمة الزهراء وإذا بها تستغيث ما صاحت يا عليّ وما صاحت يا حسن وما صاحت يا حسين وإنما صاحت بأعلى صوتها:

يا مهديّ، يا مهديّ، يا مهديّ

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، شكواي إلى نبييّ، وعدواي إلى ربّي اللّهمّ أنت أشدّ قوّةً وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً، والحمد لله أولاً وآخراً.

مؤسسة بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

---

(١) العقد الفريد: ٥/١٢.

(٢) الحجة العلاّمة السيّد فاطمي نيا حفظه الله ورعاه.

الفهارس الفنيّة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس المحتوى

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم	البقرة ٢	٥٠	٤٢
وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة	البقرة ٢	٥١ و٥٢	٤٢
وإذ قال موسى لقومه	البقرة ٢	٦٧	٨٨
قالوا أتتخذنا هزواً	البقرة ٢	٦٧ ـ ٧٠	٨٩
قال إنّه يقول إنها بقرة لا ذلول	البقرة ٢	٧١	٩٠
فذبحوها وما كادوا يفعلون	البقرة ٢	٧١	٩٣
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا...	البقرة ٢	٨٩	٦٦، ٦٩
إنّي جاعلك للنّاس إماماً	البقرة ٢	١٢٤	٧١
الذين إذا أصابتهم مصيبة	البقرة ٢	١٥٦ و١٥٧	٩٦
والصابرين في البأساء والضراء	البقرة ٢	١٧٧	٩٦
تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم	آل عمران ٣	٦١	٦٤
وأنفسنا و أنفسكم	آل عمران ٣	٦١	١٣، ٧٣، ٨٤
لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير	آل عمران ٣	١٨١	٩٤
أفلا يتدبّرون القرآن	النساء ٤	٨٢	٩٤
وابتغوا إليه الوسيلة	المائدة ٥	٣٥	٥٠
إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا	المائدة ٥	٥٥	٣٤
وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته	المائدة ٥	٦٧	٣٣ و٦٣
ما فرّطنا في الكتاب من شيء	الأنعام ٦	٣٨	٣٣
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو	الأنعام ٦	٥٩	٦٨

أوَ من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً	الأنعام ٦	١٢٢	٢١
وإذ أنجيناكم من آل فرعون	الأعراف ٧	١٤١	٣٧ و٣٩
ألست بربّكم قالوا بلى	الأعراف ٧	١٧٢	٦٢، ٨١، ٨٢
ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير	الأعراف ٧	١٨٨	١١٠، ١١١
إن يكن منكم عشرون صابرون	الأنفال ٨	٦٥	٦٧
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...	التوبة ٩	١٠٥	٥٥
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم	التوبة ٩	١٢٨	٢٢
إنّي رأيت أحد عشر كوكباً	يوسف ١٢	٤	٧٣
ولكلّ قوم هاد	الرعد ١٣	٧	٤١
قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم	الرعد ١٣	٤٣	٥٠، ٥٦
وإن من شيء إلّا يسبح بحمده	الإسراء ١٧	٤٤	٢٧، ٣٣
هل كنت إلا بشراً رسولاً	الإسراء ١٧	٩٣	٨٥، ٩٩
يسبّحون اليل والنهار لا يفترون	الأنبياء ٢١	٢٠	٣١
وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن	الأنبياء ٢١	٨٧	٢٠
وكذلك ننجي المؤمنين	الأنبياء ٢١	٨٨	٤٠
وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين	الأنبياء ٢١	١٠٧	١٠، ٢٧، ٥٨
يهدي الله لنوره من يشاء	النور ٢٤	٣٥	٢١
ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور	النور ٢٤	٤٠	١٩
إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ	الفرقان ٢٥	٤٤	٧٩
كلّ شيء هالك إلّا وجهه	القصص ٢٨	٨٨	٧٩
قل يتوفّاكم ملك الموت	السجدة ٣٢	١١	١٠٠
وسبّحوه بكرةً وأصيلاً	الأحزاب ٣٣	٤٢	٧٥
هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم	الأحزاب ٣٣	٤٣	١٦
إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ	الأحزاب ٣٣	٥٦	٧، ١١، ١٦، ١٨، ٢١ ـ ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٦، ٤١، ٥٣، ٥٧،

			٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٨١، ٨٧
وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين	يس ٣٦	١٢	٥٠
وإنّ من شيعته لابراهيم	الصافات ٣٧	٨٣	٦٥
إنّ يونس لمن المرسلين...	الصافات٣٧	١٣٩ـ١٤٤	٢٠
فالتقمه الحوت وهو مليم	الصافات٣٧	١٤٢ـ١٤٦	٢٠
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض	ص ٣٨	٢٦	٧٢
الله يتوفّى الأنفس	الزمر ٣٩	٤٢	١٠٠
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم	فصلت ٤١	٥٣	٥٦
ثم دنا فتدلّى	النجم ٥٣	٨	٤٠
ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين	النجم ٥٣	٨ و٩	٧٠، ٨٥، ١٠٩، ١١٣
ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين...	النجم ٥٣	٨ـ١٨	١٠، ٢١
أفتمارونه على ما يرى	النجم ٥٣	١٢ ـ ١٦	٨٥
لقد رأى من آيات ربّه الكبرى	النجم ٥٣	١٨	١٦
يا معشر الجن والإنس إن ستطعتم أن تنفذوا	الرحمن ٥٥	٣٣	٢٩
تبارك اسم ربك	الرحمن ٥٥	٧٨	٩٧
ما آتاكم الرسول فخذوه	الحشر ٥٩	٧	١٠٨
وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل	الصف ٦١	٦	٣٩
ومبشّراً برسول يأتي من بعدي	الصف ٦١	٦	٧٤
يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل	الطلاق ٦٥	١٠ و١١	٢٨
فلا يظهر على غيبه أحداً	الجن ٧٢	٢٦ و٢٧	١٠٠
علّم الإنسان مالم يعلم	العلق ٩٦	٥	٣٣
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره	الزلزل ٩٩	٧ و٨	٥٦

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
آتاكم الله مالم يؤت أحداً من العالمين	١٢ و٤٩
إذا ذكر أحد الأنبياء، فابدأ بالصلاة على محمّد	٨٢
إذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي	٢٧ و٤٦
إذا صلّيت العشاء الآخرة فصلِّ على محمّد وآل محمّد	١٧
إذا كانت عشية الخميس وليلة الجمعة نزلت الملائكة	٩٥
أشيروا عليّ أيها الناس	١٠٣
اللّهمّ إن محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم كما وصفته في كتابك	٢٢
اللّهمّ صلِّ على عليّ بن موسى الرضا الذي ارتضيته	٥٣
اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد إذا ذكر الأبرار	٥٢، ٨٣
اللّهمّ صلِّ على محمّد وأهل بيته	٨٤
اللّهمّ صلِّ على محمّد ورسولك وآل محمّد	٨٣
اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد	٩، ٧٠
اللّهمّ وابسط لسانه في الشفاعة لأُمّته	١١
إنّ الأعمال تعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ إثنين	٥٥
إنّ الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه	٧٧
إنّ الله تعالى لمّا خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أمر الملائكة	٣١
إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها	٦٠
إنّ قلب الرجل في حُقّ وعلى الحُقّ طبق	١٩
أنصرف عنه، فإن البعير يشهد عليك أنك كاذّب	٧٦
إنّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته	١٤

إنّها تلد غلاماً أشبه النّاس بأُمّه ٤٩
بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزّل الغيث ٦٠
بيت فيه اسم فاطمة لا يدخل فقر ٨٦
جئت لتحرق دارنا، قال: نعم ١١٧
الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ..... ٧٩، ١١٢
حسين مني وأنا من حسين ٦٤
خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد ٧٣
خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين ٧٩
ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ٢٩
ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك ٩٧
ذلّ كل شيء لكم ٨٦
رأيت في ما يرى النائم عمّي حمزة بن عبدالمطّلب ٣٥
السلام يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى ٨٥
سلوني قبل أن تفقدوني ..... ٢٩، ١٠١
صلاة الله رحمة من الله ١٠
عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ١٠٣
قولوا اللّهمّ صلِّ على محمّد كما صلّيت على إبراهيم ٨٣
قولوا: اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد ٧١
كونوا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً ١١٥
كيف تجدك؟ قال: لقيت الموت ٥٤
لا تضربوا أطفالكم على بكائهم ٣٢
لا، ولكن كأفضل ما صلّيت وباركت على إبراهيم ٨٣
ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ٧٩
من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ ٥٣
من زاره عارفاً بحقّه، أعطاه الله تعالى أجر من أنفق ٤٧
من صلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمعناه إني أنا على الميثاق ٦٢
من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب ٥٧

هذا من العلم المكنون ..... ٢٣، ٢٥، ٥٣
هل معك شيء من الدنانير والدراهم ١٠٥
هناك ألف ألف عالم، وألف ألف آدم ١٠٦
وارتضاكم لغيبه ١٠٢
وأنتم معدن الرحمة ٤٦
وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء ٧٩
وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم ١٠٧
وقد أعطى الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من ذلك ٢٦
ولم يخرج أحدٌ بأفضل مما خرجت ٧٣
ياربّ صلِّ عليهم صلاةً عدد ما في علمك ٥٩
يا معشر الفتية وأعضاد الملة ١١٤

٣ـ فهرس المحتوى

المقدّمة ٣
الدرس الأول ٧
الدرس الثاني ١٨
الدرس الثالث ٢٥
الدرس الرابع ٣١
الدرس الخامس ٣٦
الدرس السادس ٤١
الدرس السابع ٤٧
الدرس الثامن ٥٢
الدرس التاسع ٥٧
الدرس العاشر ٦٢
الدرس الحادي عشر ٦٦
الدرس الثاني عشر ٧٠
الدرس الثالث عشر ٧٥
الدرس الرابع عشر ٨١
الدرس الخامس عشر ٨٧
الدرس السادس عشر ٩٥
الدرس السابع عشر ٩٨
الدرس الثامن عشر ١٠٥
الخاتمة في مظلومية مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها ١١٤